روايات عبير ٢٠٠٠

نيكولا ويست

الحب المنسي

ترجمة
ليديا البربري

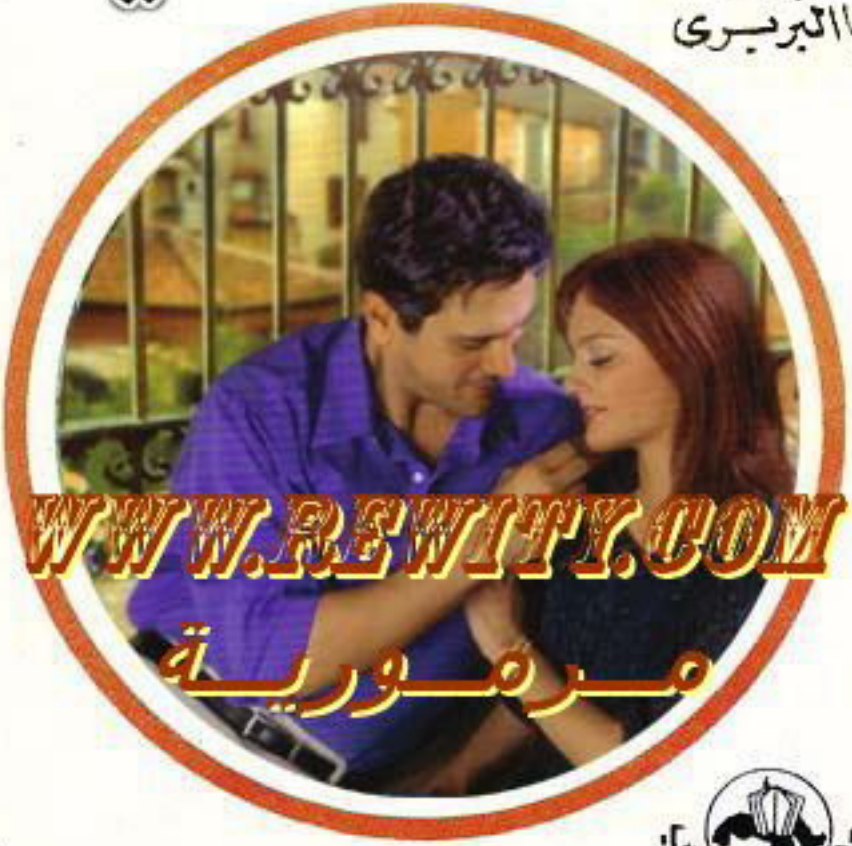

WWW.REWITY.COM
جمهورية

دار الكتاب العربي
دمشق القاهرة

٢٠٠٥

" الحب المنسي "

نيكولاويست

أثار روبرت ميلبورن الاضطراب في نفس فينيلا . هل كان ذلك بسبب مظهره الواثق أم بسبب عينيه الرماديتين اللتين كانتا تلاحقناها باصرار ؟

بدت الحياة مملة إثر استعادة وعيها في المستشفى بعد الحادث . لاتعرف شيئاً عن نفسها ولا كيف وصلت إلي المستشفى والآن يتقدم روبرت إليها بعرض وهو العمل معه كمساعدة في أبحاثه حول التاريخ الإنساني .

هل تلك الخطوة ستقودها إلى الاستقرار والراحة النفسية أم أنها ستزيد حالتها سوءاً واضطراباً ؟

هل ستتمكن من تجاهل جاذبيته والشعور الذي بدأ يولد داخلها وبدون أن تستطيع حتى معرفة سبب نموه السريع وطابعه المألوف لديها ؟

هي لاتدري إلى ما ستقودها هذه الخطوة ولكنها في النهاية لن تخسر شيئاً فقد خسرت لتوها كل شيء . ولم يبق أمامها إلا البدء من جديد وليكن في منزل روبرت ميلبورن وكمساعدة له .

***

- أمازلت تعتقدين بأنه لم يكن هناك شخص خاص في حياتك؟

- لقد قلت لك . ليس عندي أية فكرة ..و لكنى متأكدة من أنه لو كان هناك شخص كما تقول لما نسيته بهذه السهولة .

- ربما ... ربما كان هناك شخص خاص ولكنك تودين نسيانه ...أو ربما عليك الاعتراف بعدم وجوده على الإطلاق .

- نعم أظن ذلك .

إلا أن تلك الفكرة جلبت الحزن إلي قلب فينيلا . فقد كانت تشعر أنها فقدت شيئاً هاماً . شيئاً كان عزيزاً عليها .

أختلست نظرة إلى روبرت وإلى تفاصيل وجهه وجسمه .

- أنا آسفة (قالت بصوت منخفض) أظن أنك تجدنى ميالة إلى الحزن خاصة وإنه لا يحق لى ذلك فأنا فى كامل صحتى وأستطيع الوقوف والحركة بينما أنت .....

- يجب ألا تقولى هذا (قاطعها بشدة)

***

الفصل الأول

كانت لعبة لم تكن فينيلا قد شاهدت مثلها من قبل . نعم هذا ما كانت تعرفه على الأقل . و هذا ما تستطيع أن تتذكره .

اللاعبون من مختلف النوعيات . خاصة ذلك الرجل الأسمر ذي العيون الرماديه و الذي كان يرميها بنظرات حاده كلما مرّت بالقرب منه ركزت على اللعب . كان ذلك الرجل يلعب بمهاره فائقه .إنتبهت إلى نفسها تحدق فيه و كأنها تدعوه إلى النظر إليها على الرغم من الإضطراب الذى كانت تثيره هذه النظرات في قلبها .هل يعقل أنها قابلته من قبل ؟ هل التقيا في يوم من الأيام . هل عرفا بعضهما ؟

كيف كانت ستعرف ذلك ؟

و إذا كانت قد التقته من قبل ...كيف حدث و أن نسيته ؟

كيف كان لها أن تنسى تأثير هاتين العينين ؟ كيف كان لها أن تنسى سحره؟

كيف كانت ستنسى ذلك الإنجذاب الذي تشعر به نحوه ؟

لا .. هذا مستحيل فكل الذكريات يمكن أن تمحى من ذاكرتها إلا ذلك الرجل كانت متأكده من ذلك ....

مررت فينيلا يداً مرتجفه فوق جبهتها . خيل إليها أنها تستطيع أن تتذكر ، إلا أن الذكريات مازالت بعيده .

متي سينتهي كل هذا ؟

متي ستستطيع مجابهة العالم مرة أخري ؟

أحكمت قبضتي يديها . ما هي تلك المشاعر و تلك المخاوف التي كانت تنتابها ؟

كانت متاكده أنها تعاني من أزمه صعبه لا تستطيع منها فكاكا .

عادت لمراقبة اللاعبين . مشاعرها كانت قويه . لاحقت عيناها الرجل ذي العينين الفضيتين.

بدأت تشعر بأن المستشفى الذي نقلها إليه الدكتور وايتمان أخذ يتبدل في نظرها . فهو أكبر من المصحه التي قضت فيها فينيلا الأسابيع القليله الماضيه . لاحظت منذ قدومها التنوع الكبير للمرضى . فمنهم على العجلات و البعض الآخر يمشون بأطراف صناعيه .

شعرت بالخجل عندمانظرت إليهم .كيف شعرت بالحزن والخيبه وهي القويه السليمه الجسم . و هي تملك السمع و البصر و

والنطق . بينما كان الآخرون يحاولون مواجهة حياتهم و قد فقدوا أجزاءً هامه من أجسادهم.

تجول الدكتور معها في مختلف المناطق المحيطه بالمستشفى ، سارا في الحدائق و شاهدت بعينها المرضى يسيرون بسرعه و هم جلوس على الكراسي المتحركه . نظرت إلى وجوههم ... لم تشاهد اليأس و خيبة الأمل . بل التصميم على مواجهة الحياه الجديده التى فرضت عليهم ... ذلك التصميم الذي لم تحاول حتى التفكير فيه . حاولت التركيز مره أخرى في اللعبه ، تلك اللعبه التي لا يمكن القول إنها لعبة كرة القدم . ولكنها تعتمد علي نفس القواعد و القوانين فكل اللاعبين يجلسون على كراسي ذي عجلات يحاولون الإمساك بالكره و تمريرها إلى بعضهم البعض. كان البعض مقدرا له الجلوس على الكرسي المتحرك طوال حياته .

وجدت فينيلا نفسها تبحث مره أخرى عن الرجل الأسمر.لابد وأنه سيكون طويلا لو قدر له الوقوف على قدميه .مر من أمامها محاولا الإمساك بالكره . نظر إليها بإصرار . نظره أثارت فيها الاضطراب . ولكنها لم تبعد عينيها عنه . رأت في عينيه شيئا أحيا فيها بعض الإهتمام و شيئا من الذكريات .

ما الذي حدث له ؟.... كيف أتي إلى هذا المكان ؟

هل تعرض لحادث ما . أو هل حدث له مكروه أثناء بعض التمارين كتسلق الجبال مثلا أو التزحلق على الثلج ؟

مهما يكن فليس من العدل أن يصاب و لماذا هو ...؟

شعرت بالدموع تحرق مقلتيها . عضت علي شفتها بقوه .

ماذا هناك فينيلا ؟ < سألها الدكتور وايتمان >

حركت رأسها نفيا و مسحت دموعها .

– كنت أتساءل فقط .لماذا تصرفت هكذا طوال الأسابيع الماضيه . بينما لا أشكو من شيء فأنا لا أشكو من شيء البته إلا من الخوف .. الخوف من مواجهة الحقيقة .

كانت تتكلم بغضب

– هؤلاء الناس يواجهون حقيقتهم . و يتابعون حياتهم.

ولماذا ليس بإستطاعتي أن أفعل مثلهم .؟ لماذا لا أستطيع أن أتذكر أي شيء لأرميه وراء ظهري . و أتابع حياتي .

– هناك حالات غريبه للعقل .فلا تحاولي المواجهة بهذه الطريقه يا فينيلا . ولكن هذا لا يعني ألا تتابعي حياتك .

فأنا متأكد أنك ستستطيعين مواجة هذه المحنه . أليس كذلك؟

– نعم

عادت لمراقبة اللاعبين . لتفاجأ بالرجل ذي العيون الرمادية متوقفاً في فناء الملعب ينظر إليها بإصرار .

– نعم أظن أنني استطيع .

عندما عادت إلى المصحة توجهت إلى غرفتها ووقفت بجانب النافذة تنظر إلى الحدائق . حيث يتمشى المرضى أو يجلسوا تحت أشعة الشمس الدافئة . البعض منهم على وشك مغادرة المصحة والبعض الآخر ينتظر ذلك بفارغ الصبر . بينما لم يمض على وجود بعضهم يوم أو يومان . تعرفت فينيلا على الكثير منهم وعرفت قصة حياتهم وسبب مرضهم .

ولكن .... من يعرف عنها أي شيء ؟

لا أحد .... شعرت بالحزن .

أبتعدت عن النافذة وحاولت التفكير في أشياء أخري . أشياء أكثر بهجة . على الرغم من أنها قليلة ونادرة في حياتها فذكرياتها قليلة ومختصرة وكلها تتركز على حياتها في المستشفى . بدا لها وكأنها قضت عمرها كله في مكان ما لم تعد تستطيع تذكر أي شيء عنه . بدا لها وكأنها ولدت في هذا المستشفى منذ ستة أسابيع . نظرت إلى وجهها في المرآة رأت عينين رماديتين ووجها متعبا . جسم

رقيق . عرفت من الممرضات أنها فينيلا سوتكليف وعمرها ستة وعشرون عاماً .

لم يعرف الأطباء في البداية فقدانها للذاكرة إلى أن فتحت عينيها واستعادت وعيها . كانت قد قضت في المستشفي فترة لابأس بها إلى أن شفيت من الجروح الخارجية ما أن فتحت عينيها فنظرت حولها حتى انتبهت إلى أنها مستلقية على فراش ضيق في غرفة بيضاء ذات ستائر ناعمة لم يسمح لها في البداية بمغادرة الفراش . فيما بعد بدأت الممرضة بطرح بعض الأسئلة عليها . وسألتها هي بدورها .

– أين أنا ؟

كان هذا السؤال الطبيعي بالنسبة للممرضة . تسمعه كثيراً من المرضى عندما يستعيدون وعيهم . لم تجبها بسرعة إنما تابعت أخذ درجة الحرارة ... اقتربت منها وابتسمت لها بعد ذلك قائلة

– في المستشفي . كيف تشعرين الآن ؟

نظرت إليها فينيلا . لم تستطع أن تفهم أي شيء تحركت قليلاً وقالت .

– أظن أنني بخير . ولكن لماذا أنا في المستشفى ؟

ترددت الممرضة قليلاً .

– لقد تعرضت إلى حادث . هل تريدين كوباً من الشراب ؟ لا تحاولي الكلام فهذا يضر بك ... ستأتي رئيسة الممرضات في الحال وتجيب على كل تساؤلاتك .

ولكن تلك الرئيسة لم تجب على أية تساؤلات . كان لدي فينيلا الإحساس بأنها فقدت وعيها منذ وقت طويل . ولكن كم من الوقت ؟ ساعة .. يوماً .. أسبوعاً لا ... لم يستطع أحد أن يخبرها .

عندما أتى الطبيب لزيارتها في اليوم التالي جلست بجانب سريرها مقرباً كرسيه إليها . من الواضح أنه سيجري معها حديثاً مطولاً . كانت فينيلا قد استردت الكثير من قواها ولكنها كانت مشوشة ومضطربة فخلال اليومين الماضيين رأت الكثير من القلق على وجوه الممرضات على الرغم من محاولاتهن الفاشلة في إخفاء ذلك .

– أستطيع تذكر أي شيء .... من أنا ؟

بادرته فينيلا بتلك الكلمات وقد بدا القلق والاضطراب عليها تابعت.

– لا أستطيع أن أتذكر أي شيء عن نفسي . أشعر وكأنني قد هبطت إلي الأرض في هذه اللحظة . أستطيع أن أتكلم وأن أفكر وأعرف ما علي فعله ولكن لا شيء آخر .أشعر وكأنني قد ولدت لتوي .!!!

حدق الطبيب فيها لفترة وضع يده على ذراعها . كانت ترتعش من الانفعال مثل العصفور الصغير الذي وقع في براثن القط . نظرت إليه محاولة فهم الحقيقة . محاولة التقاط أي بارقة أمل في عينيه . ولكنها لم تجد إلا التعاطف وهذا ما أخافها أكثر .

– ماالذي حدث لي ؟ لماذا لا أستطيع التذكر ؟ .. من أنا . ؟

أشار إلى الممرضة بترك الغرفة أحتضن يدها بكلتا يديه أحست بالدفء يغمرها . كان يحاول امدادها بالقوة . بالقوة لمواجهة ما هو قادم . لمواجهة الآلام الكامنة في أعماق عقلها . ولكنها لم تكن تريد ذلك . لم تكن بحاجة في الوقت الحاضر إلا إلى معرفة أسمها ومن هي وماهي حياتها .

– قولي لي .. ماالذي تتذكرينه < سألها >

– لا شيء ... أنا لا أعرف أي شيء ... لقد قلت لك أشعر وكأن حياتي قد بدأت فوق هذا السرير . تصور أنني لا أعرف إسمي أو عمري .

– بالتأكيد .... المرضات ..... ؟

– آه .. نعم أخبروني عدة أشياء نعم .. إسمي فينيلا سوتكليف عمري ستة وعشرون عاماً . عيد ميلادي يصادف في

شهر آيار ولكن هذا كل شيء . بالإضافة إلي أنني غير متأكدة من أي شيء فباستطاعتهم أن يخبروني أنني الملكة فيكتوريا أو ميريل ستريت ولن أعرف الفرق .

– ولكنك تعلمين أنك لست أي منهما .

نظرت إليه والتقت عيناها بعينيه . حدقت فيه لفترة بعد ذلك شعرت بالهدوء يعود إليها .

– نعم أعرف ذلك . أخبروني أنني لست اولئك ولكن كيف أعرف أنني فينيلا ومن هي فينيلا تلك .

– ولكن ما يحدث لك ليس حدثاً غير عادي . فعندما جئت إلينا كان هناك جرح بليغ في رأسك ، فقد كنت في وضع صعب . لهذا ووفقاً لتلك الظروف كان من الصعب عليك معرفة أية تفاصيل عن حياتك .... وعلى كل حال وكما أرى فإن ذاكرتك لم تتأذى إلى حد كبير فأنت تعرفين الملكة فيكتوريا وتعرفين ميريل ستريب .

– شكراً لك ..... وهل هذا ما تظنه كافياً لمتابعة حياتي .

– أنا آسف .. أنا لم أقصد هذا . أعرف أن الوضع صعب ولكني متأكد أنك ستتحسنين .

– هل هذا صحيح ؟

بدا الألم على وجهها .

– بالتأكيد ... فكثيراً من الحالات المشابهة كحالتك يستعيد المريض فيها ذاكرته ولكن هذا يحتاج إلى وقت .

– وقت .... وماذا تعني بالوقت ؟ بضعة أيام ؟ سنة ؟ أكثر من ذلك ؟

حدقت فيه بعيون واسعة ووجه شاحب تابعت قائلة :

– وهل سأتذكر كل شيء .... كل شيء ؟

أعادت كلمتها الأخيرة همساً .

نظر إليها الطبيب وقد لاحظ مدى ارتباكها وارتجافها أخيراً قال :

– هذا يعتمد على سبب فقدانك للذاكرة .... من المحتمل أن السبب لا يمت بصلة إلى الجروح التي وجدناها عليك . ألا يحتمل أنك لاتريدين التذكر .

– ولكن كيف يمكن هذا . فأنا أريد أن أعرف من أنا .

أبتسم لها قائلاً :

– العقل : جزء معقد من جسم الإنسان . وهو لا يقوم دائماً بتنقية الأفكار . فإذا حدث وأن حصلت بعض الأشياء غير المستحبة يفضل العقل نسيانها بشتى الطرق وفي هذه الحالة يقوم بنسيان أشياء أخري عادية حصلت قبل ذلك ..... فينيلا . أفضل ماتقومين به الآن هو أخذ بعض الراحة .حاولي ألا تقلقي فأنت لا

تستطيعين استحضار الأفكار ولا الذكريات فهي ستأتي من تلقاء نفسها وبالتدريج .

– ومن المحتمل ألا تأتي على الإطلاق .

رأت في عينيه الإجابة . استدار وخرج من الغرفة .

أنتبهت عندما أنه لم يخبرها عن أسمه .

من المحتمل أنه قدر وضعها فهي لا تعرف أي شيء عن نفسها ولا حتى أسمها وما زالت كذلك .... كانت ما تزال تنظر من نافذة غرفتها إلى الحديقة وتحدق في المرضى الموجودين هنا وهناك .

عادت إلى أفكارها ....

لقد قيل لها بعض الأشياء عن حياتها . هل كان من الأفضل أن ترمي بماضيها وراء ظهرها وتنسى كل شيء ؟

ولكن هذا ما لا تستطيع عمله أو القيام به فيوم ما لابد لها من أن تتذكر ولو أشياء صغيرة ستساعدها بالتأكيد على إزاحة الظلمة من عقلها .

استعادت المعلومات التي أصبحت لديه الآن عن نفسها على أصابعها أسمها فينيلا سوتكليف . عمرها ستة وعشرون عاماً . تعيش في شقة تقع في شمال لندن . اشترتها منذ ثلاثة أشهر مضت تعمل كسكرتيرة لأصدقاء لها وليس لها من معارف يعلمون

يعلمون عنها أكثر من ذلك .

لم يكن هناك أية معلومات عن المكان الذي قدمت منه قبل شرائها لشقة لندن .

إذا استطاعت أن تعلم ماالذي حدث لها . كيف تعرضت للحادث... هل هذا سيساعدها على التذكر ؟

كان الدكتور وايتمان والذي اعتاد أن تناديه سام ينظر إليها بصبر كبير . نصحها بألاتفكر كثيرا ولا تركز على اتجاه واحد لأنه إذا لم يكن العقل مستعداً لهذا الضغط وهذا التركيز فسيأتي بالنتيجة العكسية .

– إن هذا الأمر بإمكانه أن يكون مريحاً لك ... فأنت لست الشخص الذي يشعر أنه لا ماض له . ولا يمكنك أن تتصور الوضع الذي أعاني منه .

كان صوت فينيلا ضعيفاً وهي تحدثه بينما انهارت دموعها .

– ربما ولكني كنت سأحاول . فأنت لاتريدنني أن أخبرك عما حدث لك .. أليس كذلك ؟

أنتظر قليلاً لكي تستجمع نفسها وتفكر بما قاله لها . رأى الخوف والقلق على وجهها .

– أرأيت ؟ .. لاتزيدي الأمر صعوبة . أتركي الأمور تسير

ببطء .

– ولكن لنفرض أنني لم أتذكر أي شيء ؟

كانت تصرخ من الألم واليأس . أمسك الطبيب يدها مرة أخري محاولاً مدها بالقوة والثقة بالنفس .

– أعتقد أنه يجب التفكير في هذا أيضاً . ولكن ليس أمامك الآن إلا أن تبدأي حياتك من جديد وليس هناك من طريق آخر . ولكن أؤكد لك أن ذلك لن يدوم طويلاً .. فيوم ما ستتذكرين كل شيئ وذلك عندما يصبح عقلك قادراً على استعياب ...

– استيعاب ماذا ؟

حدقت فيه متأملة في إجابته . إلا أنه مكث صامتاً . بعد قليل أجابت على السؤال بنفسها ولنفسها .

" قادرة على استيعاب ماحدث لي . هذا ماتقصده أليس كذلك ؟ "

ولكنها تعرف أنها ليست قوية بالشكل الكافي لمواجهة تلك الحقيقة ولن تكون أبداً . على الأقل في الوقت الحاضر .

أما الآن فإنها ستبدأ حياتها الجديدة . ستبدأ في عمر السادسة والعشرين . بدون أهل بدون أصدقاء . بدون ذكريات وبدون ماض .

ابتعدت فينيلا عن النافذة . فالناس الذين كانت تراقبهم بدوا لها وكأنهم يقضون عطلة ما . فهم يتحسنون وينتظرون اللحظة التي

سيخرجون فيها من هذا المكان ليتابعوا حياتهم . قاومت بشدة الشعور بالرثاء على نفسها فلم تكن لتسمح لهذا الشعور باحتياج حياتها والسيطرة على كيانها . عادت للتفكير في حياتها والطريقة التي كانت تعيشها طبعاً عادت لتفكر بما قالوه عنها وما أخبروها به .

" لابد أن هناك شيئاً ما سيساعدني على التذكر ؟ "

أخبروها أنها ترعرعت في قرية صغيرة تدعي سوفولك انتقل والدها في تلك القرية عندما أصبح عمرها ثمانية عشر عاماً وبعد أن أتمت المرحلة الثانوية .. عملت كموظفة في مكتبة إلى أن قتل والدها في حادث سيارة في كندا .

ماالذي فعلته فينيلا بعد ذلك .. هذا مالم يخبرها عنه أحد كان من الصعوبة إيجاد أصدقاء لها . فقد ظهر أنها لم يكن لديها أصدقاء محددون .

– في الحقيقة لا يبدو أنني قد تركت أي أثر في حياة أي إنسان . ويمكن أن أكون المرشحة الوحيدة للزوال بدون أي أثر .

– لا تقولي ذلك . فأنت فتاة جذابة فينيلا . المشكلة أنك أنتقلت إلى لندن منذ فترة وجيزة . من المؤكد أنك عملت في أماكن كثيرة . فكما علمنا من الوكالة التي كنت تعملين فيها أنك من أكفأ

الموظفات < توقف قليلاً وتابع > أظن أن من الأفضل أن تتركي هذه التساؤلات جانباً وكما قلت لك قبلاً . دعي الأمور تسير بطريقة طبيعية أنها الطريقة المثلى .

– ولكن ... ينقضي بعض الأصدقاء .. أني إتساءل لم لا يسأل عني أحد ؟ لم لا يأتي أحد إلى شقتي للسؤال عني مثلاً ؟ هل يعقل ألا يكون عنواني بحوزة أحد ؟

– من المحتمل أنه ليس لديك أي أصدقاء < قالها بهدوء >. ومن المحتمل أن تكون تلك رغبتك . فينيلا .. أن تقطعي علاقتك بالماضي . قاطعته بشدة قائلة :

– أرغب في ذلك ؟ هل هذا ممكن ؟ وإذا كان كذلك .. لماذا ؟

كانت تلك أحاديثها مع الطبيب . فقد اعتادت أن تجلس إليه وتحدثه ما هو السر الذي يكتنف حياتها . ماالذي يدفعها إلى قطع كل صلتها بالماضي ؟ لاحظت أن ذلك السر له دور كبير في فقدانها لذاكرتها حتي إنها تود أن تخفيه عن نفسها .

هل هو شيء فعلته . أو هو شيء فعله أحدهم معها ؟

شعرت مرة أخرى أنها ترتعد من الخوف والقلق .

تذكرت كلمات الطبيب . صحيح .. لم لا تترك كل شيء للزمن عليها ألاتسأل نفسها مثل تلك الأسئلة .

عليها أن تترك الماضي وتنظر إلى المستقبل...لوحدها .

كانت على وشك ترك المستشفى . فجروحها قد شفيت ومازالت تحاول البحث داخلها عن أية ذكرى . أتاها الطبيب وطلب منها الخروج ومرافقته لزيارة مريض في مستشفى آخر . سألته في قلق:

– وهل تعتقد أنني سأرى شيئاً يعيد لي ذاكرتي ... سام أنا لست متأكدة ....

– لا تبدأي بالقلق مرة أخرى . فأنا لاأدري ماالذي يمكن أن يحدث . فلا تفكري في ذلك كثيراً . اعتبري خروجنا من المستشفى عبارة عن نزهة .... اتفقنا ؟ فأنا أود أن أقابل أحدهم هناك . ولكن لا دخل لك بالموضوع . ماعليك إلا أن تتمتعي بالمشوار وبالغداء . فأنا أود أن أطمئن عليه وأرى كيف تواجهين العالم الخارجي .

نظرت إليه في شك إلا أن نظراته كانت مطمئنة .

– حسناً .... هذا إذا كنت متأكداً أنه لن يحدث أى شيئ .

– أنا متأكد .

ولكنها لم تكن متأكدة . شعرت أن هناك شيئاً ما سيحدث ولكنها لم تقل له شيئاً فقد وضعت ثقتها فيه منذ اللحظة الأولي منذ ذلك

الصباح الذي أتي فيه إليها وجلس قربها ممسكا يدها وهي الآن تثق فيه أيضاً الآن ... وهي تحدق من خلال النافذة تذكرت مبارة الكرة وشعرت مرة أخرى أن لسام هدفاً آخر من وراء طلبه في اصطحابها تذكرت مرة أخرى ذلك الرجل المقعد ذي الشعر الأسود والذي سيطر بحضوره على الملعب كله . ذلك الرجل المقعد ذو الجسم القوي الكامل الحيوية والذي بدا لها أنه من الصعب متابعة حياته على ذلك الكرسي المتحرك .

لابد وأن تلك الزيارة ستكون ذات شأن بالنسبة لها . كانت متأكدة من ذلك . ولابد وأنها ستؤثر على حياتها في المستقبل .

في اليوم التالي أخبرها سام عن العمل كان ذلك أثناء جلوسها في غرفة المكتب في ذلك المستشفى الذي تتعالج فيه . لذلك أخذ حديثها الطابع الرسمي والعملي . عكس ما اعتادت عليه أثناء جلوسها معه فخلال الأسابيع القليلة الماضية كانت قد تولدت بينها وبين الطبيب صداقة فقد تكررت لقاءاتها وأخذت طابع الصداقة وليس طابع العمل العلاجي .

جلست أمامه وواجهته . شعرت أنه مايزال هناك الجانب الرسمي في علاقتهما .

وشعرت من خلال حديثه أنه يتوق إلى الأخذ بنصيحته في ترك

المستشفى وذلك ليرتاح من مشكلتها .

– عمل ؟ .... ولكني لا أدري ماالذي يمكنني عمله

– أنت سكرتيرة جيدة نحن نعرف ذلك كما أنه لديك الخبرة في أعمال المكتبات وبذلك ستكونين سكرتيرة ناجحة بالنسبة لكاتب . وتستطيعين المساعدة في الأبحاث وفي الكثير من الأشياء بدأت فينيلا تهتم بالموضوع . سكرتيرة وأبحاث نعم ... ولم لا

– وهل هذا ماتعرضه علي من عمل ؟ سام هل تفكر في الاتفاق مع الوكالة التي كنت أعمل بها ؟

– في الحقيقة ليس هناك شيء من هذا . لقد عرفت وبالصدفة معني المريض الذي أعالجه – وهو في نفس الوقت صديق قديم لي – انه علي وشك مغادرة المستشفي ولكن لسوء الحظ لم يشف تماماً فهو غير قادر على السير . أسف بالطبع أنت تفهمين .

كان يتحدث بسرعة وكأنه يود أن يخفي شيئاً ما نظرت فينيلا إليه بفضول وشك . وفكرت أن هناك شيئاً يخفيه سام عنها لذا لا يستطيع مواجهة عينيها تابع قائلاً .

– على كل حال . هذا الرجل مؤرخ ... يكتب في تاريخ أوروبا ويحتاج إلى شخص إذا صح التعبير يقوم مقام رجليه

ويتضمن ذلك السكن معه فهو يعيش في منزل جميل في الواقع أنا أرى أن هذا العمل قد خصص لك . فهو يتيح لك الرجوع إلى الحياة بعيداً عن مشاكل الوظائف ومضايقاتها بالنسبة لك ولوضعك < توقف لبرهة ونظر إليها >حسناً يمكنك التفكير في هذا العرض . لست في حاجة لسماع ردك الآن . خذي وقتك بالتفكير .

حدقت فيه فينيلا لبرهة . فكما هو ظاهر يعتبر هذا العرض أفضل الحلول لمشكلتها ولكنها كانت متأكدة أن هناك خفايا لم تعرفها بعد

عادت وسألته مرة أخري .

– صديقك هذا الذي تتحدث عنه هل تتم معالجته في ذلك المستشفى الذي ذهبنا إليه البارحة ؟

– حسناً .... نعم .. بالفعل انه كذلك ...

بدا عليه الارتباك وعدم الارتياح .

– هل تعرف سام .... أراك شفافاً لقد أخذتني إلى هناك لكي يلقي علي نظرة ويشاهدني أليس كذلك ؟ وهكذا يقرر فيما إذا كان سيوافق على انتقالي للعيش معه والقيام بالعمل اللازم ؟ ألا تظن أنه بحاجة إلى إنسان آخر يضع فيه ثقته ؟ شخص يضمن أن يعود إلي البيت إذا ما خرج إلي مكان ما < قررت مرة أخرى >

أنت شفاف جداً دكتور وإني أرى أشياء أخرى لم تحدثني عنها .

– حسناً ... أعترف أنني خططت لكل هذا . ولكني متأكد أنه بحاجة إلى شخص ما وأنا أعرفك أنت وأعرف أنك ملائمة لهذا العمل .. إذن لم لا أساعدكما ؟ أما إذا لم تكن لديك الرغبة في هذا العمل . فما عليك إلا أن تقولي .

– وكيف لي أن أعرف أنني لاأرغب ؟ فأنا بحاجة إلى مقابلة ذلك الرجل قبل أن أقرر . بالتأكيد يمكنك أن تدبر لهذا اللقاء ؟ شعر سام بالراحة

– بالتأكيد . فينيلا بإمكانك مقابلتة في أي وقت تشائين الآن إذا أردت .

الآن ؟ ... هل تقصد أنه هنا ؟

– بالفعل ... طلب مني القدوم إلى هنا لمقابلتك ولكني طلبت منه بعض الوقت لأضعك بالصورة . لقد رفض في البداية لأنه إذا فكرت بالموضوع فلا بد وأنك سترفضين عرضه . إنه في الخارج وبإمكانك رؤيته الآن إذا رغبت في ذلك .

حدقت فيه لبرهة بعد ذلك نهضت وعبرت الغرفة لتنظر من النافذة استقرت عيناها على الكرسي المتحرك . كان الرجل ينظر إلى الحقول المترامية بالقرب من المستشفى . ظهره لها لذا لم تستطع

رؤية وجهة . ولكنها عرفته . نعم عرفته وبدون أن تنظر إلى وجهة عرفته من شعرة الأسود وجسمة القوى لابد وأن عينيه رمادتين وفمه قوى . شعرت برعشه تجتاح جسمها تذكرت إحساسها لدي رويتها له فى الملعب البارحة . نسيت وجود سام . فتحت الباب وخرجت إلى الشرفة حيث الرجل سارت عبر الشرفة إلى أن أصبحت بجانبه . شعر بها لدي أقترابها منه استدار إليها وواجهها

توقفت فينيلا والتقت عيونهما حدقا في بعضهما لفترة .

" لا ... هذا الرجل لم يعتد المرض أبداً "

هكذا فكرت فينيلا بينما عيناه تنشران موجات مغناطيسية حولها وتأسرانها . شعرت بالخوف لوكانت حكيمة لاستدارت على عقبيها وابتعدت عن ذلك المكان وعن ذلك الرجل

تنهدت واقتربت منه إلا أن الكلمات لم تخرج من شفتيها

– أنا روبيرت ميلبورن

بادرها الرجل كانت في كلماته نبرة لم تستطع فهما تابع قائلاً .

– فهمت من سام أنه أخبرك عن الوظيفة التي أعرضها عليك هل ... هل فكرت فيها ؟

ترددت فينيلا في الأجابة كانت تنظر إليه . تساءلت كيف لمثل هذا

الجسم أن يفقد القدرة على الحركة . بينما تراه بكامل صحته وقوته .

– علي الأقل < تابع > يمكن أن تحاولي .

كان هناك شيء ما حرك مشاعرها . شيء ما في صوته أثر علي عقلها . شيء جاء كالبرق ومن ثم اختفى . أحست في صوته بالآلفة . وكأنها قد عرفت هذا الرجل من قبل . ولكن كيف . هذا مستحيل . إنه ينظر إليها الآن بدون أيه مشاعر وبعيون باردة . هل يمكن لهذه العيون الباردة أن تخفي شيئاً .

بللت فينيلا شفتيها الجافتين بلسانها . كان قلبها ما يزال يخفق بشدة . وضعت يدها على خدها كانت أصابعها ترتجف . أرادت أن تقول " لا " ولكنها قالت .

– نعم ... سآتي إليك في أقرب وقت

فكرت إنه مهما كان الخطر عظيماً بالقرب منه فهذا أمر لابد لها من مواجهته .

الفصل الثاني

منزل روبرت ميلبورن . لم يكن منزلاً بالمعنى المجرد للكلمة .فقد بدا لها وكأنه قلعة وسط غابة وقريب جداً من الحديقة القديمة حتى يهيأ للقادم إليه أنه بعيد جداً عن المدينة أو كأنه في أقاصي الريف.

وصلت فينيلا إلى المنزل برفقة سام في أواخر شهر حزيران أبدى لها سام سروره من وضعها ووضع روبرت الجديد فقد كان يتوق إلى رؤيتها بعيداً عن أجواء المستشفيات .

كان سام قد رافقها قبلاً إلى شقتها في لندن وذلك لجلب بعض الملابس وراقبها وهي تتحرك بارتباك في أرجاء الغرفة . لم تكن لديها أدنى فكرة عن الملابس الموجودة . اختارت بعضاً منها على الرغم من أنها لم تكن قد رأتها من قبل . والغريب في الأمر أنها شعرت بتأنيب الضمير شعرت وكأنها تفتش في أشياء فتاة أخرى.

– أشعر وكأنها ستأتي بين لحظة وأخرى .

نظرت إلى الدكتور الذي كان يراقبها بصبر بالغ .

– أقصد الفتاة التي تعيش هنا ..... فينيلا الحقيقية .

– أنت لا تصدقين أنك فينيلا الحقيقية أليس كذلك .

– لا أدري ..... لقد قلت لي إنني فينيلا وأنا أثق بك إذن لابد وأنها الحقيقة . ولكن في داخلي . لا أشعر بذلك بل لا أشعر بما تقول ولا أعتبر فينيلا إلا إسماً من الأسماء .

– صحيح . أسم اعتدت عليه وعشت معه ستة وعشرين عاماً . إنه زمن طويل .

– أعتقد أنني سأعتاد عليه < حزمت حقيبتها قائلة > لا أظن أنني سأحتاج إلى أكثر من هذا . ولا أعتقد أن البرفسور ميلبورن يقيم الكثير من الحفلات أليس كذلك ؟

نظرت إلى ثوبي السهرة المعلقين في الخزانة قائلة :

– أعتقد أنني كنت أمارس حياة اجتماعية حافلة < نظرت إليه بتساؤل > إذن لم لا يتذكرني أحد .؟ ألم يكن لدى أي أصدقاء؟

– ربما كان لديك ولكن قبل مجيئك إلى لندن .

– أظن ذلك .< تابعت بحزن > كنت أعتقد أنني سأجد صندوق بريد ورسائل أو أي شيء عندما أتي إلى هنا . حتى المسؤول عن البناء قال إنه لم يعرف أي شيء عن فينيلا سوتكليف قبل مجيئها للسكن في هذه الشقة . يبدو لي وكأنني أتيت من مكان مجهول أنا لا أفهم ذلك وكأنني قد فقدت سنين عمري التي تلت

وفاة والدى الآن وهما يقتربان من منزل روبرت ميلبورن ذلك المنزل المغمور بالأشجار والحدائق . شعرت فينيلا بالتوتر تساءلت مرة أخرى . ماالذي جعلها توافق على القيام بهذه المهمة وكيف وافقت على المجيء إلى هذا المكان ؟

تذكرت مرة أخرى تلك الأمسية التي قضتها مع روبرت ميلبورن في حديقة المستشفي الذي كانت تتعالج فيه . تحدثا كثيراً عن نفسيهما . بدا لها وكأنه يعرف الكثير عنها . لم يسألها عن أي شيء . وقد كان ذلك السبب الرئيسي لموافقتها للعمل معه . فقد كانت تخشى مواجهة الناس وأسئلتهم عنها وعن فقدانها لذاكرتها وكان عليها بدورها أن تشرح لهم مشكلتها . أما روبرت فقد قبل بها واعتبرها إنسانة تعاني من إعاقة تشبه إعاقته والحالة واحدة . تحدث إليها عن نفسه وبأنه خريج كلية الأكسفورد . بنى لنفسه مكانه واسماً في عالم التاريخ . تاريخ أوروبا بالتحديد . وكتبه تتحدث عن الحياة في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وعن الحروب والدمار الحاصل في القرن العشرين . أما الآن فهو مرتبط بكتابة بحث يهتم بعدة مواضيع وخاصة الثورات التي بدلت العالم .

– أحتاج إلى أحد يساعدني في بحثي < قال لها > لقد

حصلت على العديد من الكتب الضرورية . ولكن مازلت بحاجة لزيارة المكتبة البريطانية وأماكن أخرى أيضاً . هل تعتقدين أن باستطاعتك القيام بذلك .

" المكتبة البريطانية " بدت لها هذه الكلمات مألوفة .

إنه مكان قامت بزيارته كثيراً من قبل . إنها متأكدة من ذلك .

– نعم ... أظن أنه باستطاعتي القيام بذلك . كما أعتقد أنه سيسرني جداً القيام بهذا العمل ولكن .....

– أنا لا أتوقع منك القيام بأي عمل لا تجدين نفسك قادرة على القيام به .

كان ينظر في عينيها يبحث فيهما عن شيء لم تعرف فينيلا ما هو .

ولكنها لاحظت أن عينيه رمادتيان أو فضيتان أحست بالدوار ألتقط عقلها ذكرى ما . ولكن سرعان ما أن أختفت .

نظرت إليه علها تلتقط تلك الذكرى إلا أنها كانت قد اختفت انتابها الاحساس القديم بالخوف والانجذاب في الوقت ذاته ولكن .. لماذا تخاف منه ؟ ولماذا تشعر نحوه بتلك الألفة ؟

– كيف حدث وأنك تعرف الكثير عني ؟ < سألته فجأة > وما الذي جعلك متأكداً أنني سأنفع لهذا العمل ؟

– كنت أتحدث مع سام في أحد الأيام . طبعاً هذا قبل أن أكتشف كم أنا محظوظ فقد علمت أن هناك أمراضاً أصعب وحالات أخطر من حالتي . فكرت أنه يوجد الكثير من الأشخاص الذين لايعرفون كيف يبدأون حياتهم وكيف يتأقلمون مع وضعهم الجديد على كل حال . سألت سام إذا كان بإمكانه مساعدتي على الحصول على زوجين من الأرجل لاستعمالهما إلى أن أشفى تماماً فكر فيك وأقترح أسمك .

نظرت إليه .... كانت تفكر بكلماته " قال : إلى أن أشفى تماماً " قالت له .

– قلت إلى أن تشفي أنت ست....

– سأتحسن ؟ بالطبع هذا ما أنويه بالفعل

اللعنة إذا كنت سأقضي بقية حياتي حبيسة هذا الكرسي سأمشي مرة أخرى وفي غضون سنة .

فوجئت بعزمه وتصميمه على الشفاء لاشك أنه سينفذ ما قاله . ففي غضون سنة سيصبح باستطاعته الوقوف والمشي من جديد تماماً كما قال في غضون سنة سيتسنى له الوقوف من جديد وفرد طوله الفارع وجسمه الرياضي ربما سيتسنى له تسلق الجبال أيضاً أو التزلج على الثلج . لقد كانت متأكدة أن ما يقوله هذا

الرجل لابد وأنه سينفذه .

إذن .... هل سيصبح باستطاعتها تذكر كل شيء إذا ما صممت على ذلك . هل سيصبح باستطاعتها إخراج ما هو مخبأ في عقلها واسترجاع ذاكرتها .

إنها اللحظة التي محت وأزالت كل الشكوك لدى فينيلا فروبرت ميلبورن بإمكانه أن يشكل خطراً من نوع ما ولكنه في نفس الوقت يمكن أن يشكل واقعاً لها لاسترجاع مافقدته وذلك من خلال تصميمه على استرجاع قدراته .

باختصار إنها فرصة قد لاتتكرر مرة أخرى .

لم يكن باستطاعتها تصور اليوم الذي سيشفى فيه روبرت .

اليوم الذي لن يكون فيه بحاجة إليها . لقد تعودت ومنذ أن فتحت عينيها في المستشفى على التفكير فقط في اليوم الذي تعيش فيه كما تعودت أن تنسى الماضي ولاتهتم بما حدث فيه وأن المستقبل مجهول .

لم يكن لديها الآن إلا الحاضر .

– مساء الخير يا آنسة وسيدي .

بدت المرأة التي فتحت لهما الباب ذكية ذات وجه سموح وشعر رمادي . تابعت .

– دكتور وايتمان . لطيف أن نراك مرة أخرى . وأنت لابد وأنك الآنسة سوتكليف .

ابتسم سام للمرأة . وساعد فينيلا على النزول من السيارة .

– يسرني أن أقدم لك السيدة بينيت مديرة بيت روبرت .... أعتقد أنه هنا أليس كذلك سيدة بينيت ؟

– نعم ياسيدي ... إنه يأخذ بعض العلاج الفيزيائي ولكنه قارب على الانتهاء سأقدم لكما الشاي في غرفة الجلوس . تفضلا سأخذ الآنسة سوتكليف إلى غرفتها أولاً

قادتهما إلى الداخل اجتازا بهواً واسعاً . دخلا إلى غرفة الجلوس كانت غرفة مريحة فيها مقاعد مريحة وأنيقة أخبرتهما السيدة بينيت إنها غرفة الجلوس الصغيرة " ياالهي " فكرت لي إذا كانت تلك غرفة الجلوس الصغيرة فكيف ستكون الكبيرة ولم يحتاج السيد روبرت إلى غرفتي جلوس .

– غرفتك في الطابق الأول .

استدارت هي والطبيب ولحقا بها إلى الطابق الأعلى .

في الواقع لم يكن البيت ضخماً جداً . إلا أن فينيلا وجدته كبيراً ذلك المساء أعجبتها غرفتها كثيراً منذ النظرة الأولي فقد كانت تطل على الوجهة الأمامية للبيت وتطل أيضاً على الغابة الكثيفة

ووراءها أسطحة البيوت الرمادية للبلدة . كانت غرفة كبيرة مطلية بالاخضر الشاحب والذهبي أما السرير العريض فهو مغطى بغطاء أبيض مطرز وكان هناك متسع لطاولة وكرسي ومقعد عريض وفي غرفتها هناك باب في الزاوية يؤدي إلى الحمام الخاص بها

حسناً ....سترتاحين كثيراً هنا . ‹ طمأنها سام وهو ينظر حوله › أرى أن روبرت يعاملك بشكل جيد .

توجه إلى السيدة بينيت قائلاً :

– دعينا نتوجه إلى الأسفل لنرى ماهي أخبار الشاى .

أظن أن الآنسة سوتكليف تحتاج إلى بعض الدقائق لتعتاد علي الغرفة .

بقيت فينيلا لوحدها . وبقيت لفترة لابأس بها جامدة تنظر حولها لم تتوقع شيئاً كهذا . ولم تتوقع أن يقدم روبرت لموظفة مثل هذه الغرفة . بالاضافة طبعاً إلي الأجر العالي . لقد توقعت غرفة صغيرة مهملة لاتصح لاستعمال أهل البيت . أما هذه الغرفة فهي تليق بضيف عزيز وعالي المستوى . مرة أخرى شعرت بأن هناك مايزعجها ويقلقها . كانت تشعر أن في الأمر لغزاً تمنت لو أنها تستطيع أن تضع يدها على طرف الخيط .

أو لو أنها تستطيع أن تتذكر .... تتذكر أي شيء .

أبعدت عنها هذا التفكير واتجهت إلى الباب فهي لو اكتشفت حقيقتها وحياتها فإن هذا لن يحل لغز روبرت ميلبورن فهي لم تقابله في حياتها . فإذا كانت قد قابلته فلم يخف عنها روبرت هذه الحقيقة ؟ ولكنه على العكس لا يعطيها أي انطباع من هذا النوع ولكن ماهو ذلك الشعور الذي تحسه ناحية روبرت . ذلك الشعور بالخطر والذي يوازي شعور الانجذاب نحوه وذلك الشعور بالألفة وكأنهما قد تقابلا من قبل في عالم آخر وحياة أخرى ؟

هل يمكن أن يكون كله من وحي خيالها وتفكيرها ؟

عندما نزلت إلى غرفة الجلوس وجدت روبرت ميلبورن هناك وسام يصب لنفسه كوب الشاي الثاني على مايبدو .

– آه ..... أنا آسفة . لم أنتبه إلى أنني .....

– ليس هناك مايدعو إلى الأسف والاعتذار .. فقد بدأنا لتونا ... أقدم لك جون مساعدي الأول .

فوجئت فينيلا بالرجل الذي وقف وحياها بخجل فلم تكن قد لاحظته أثناء دخولها .

– إنه يقوم بمساعدتي بما يخص التمارين الفيزيائية .. بالأضافة إلى الأعمال الخاصة التي أحتاج إليها ..طبعاً في وضعي هذا .

بدأ صوته ساخراً لاحظت فينيلا أنه لم يكن قد اعتاد بعد على وضعه على الر غم من محاولته الجادة في قبوله تابع قائلا :

– جون ... هذه فينيلا والتي ستقوم بجميع المهام الفكرية. سنشترك نحن الثلاثة في خلق عمل تاريخي مميز .

– هذا صحيح فلابد أن يكون الناتج عظيماً إذا ما أشترك شاب كله حيويه وفتاة كلها جاذبية فى هذا العمل .

كان هذا تعقيب الطبيب وهو يقضم قطعة من كعكة التفاح.

لم يعره روبرت أي أهتمام تابع .

– حسناً .. وحيث إننا وضعنا جميع النقاط الرئيسية لتعاوننا .

أتمنى أن تكونا عونا لي .

– أظن أنه بالتصميم الذي تتمتع به لن تحتاج إلى الكثير من العون .< أخذت منه فنجان الشاي > بقليل من التدريب تستطيع السير مرة أخرى .

– هذا صحيح . فينيلا . لقد عرفت هذا الرجل لسنوات عديدة . وأظنه انتظر طوال حياته هذه اللحظة ليتدلل كالطفل .. حسناً علي أن أذهب الآن . لدي الكثير من المهام .... هل سترافقني إلى الباب الخارجي فينيلا .

وضع فنجانه ونهض .. نظرت فينيلا إلى روبرت . فكرت أن من الصعب عليه ألايستطيع مرافقة ضيفه إلى الباب الخارجي . ولكنه لم يقم بأي إشارة تدل على ذلك . بل لوح له بيده وبايماءة من رأسه ودعه .

تبعت فينيلا الطبيب إلى الخارج .

– شكراً لأنك رافقتني إلى هنا ياسام .

شعرت وهي تودعه عند الباب أنها ضعيفة وليست قادرة على مواجهة هذا العالم . فقد كانت قد اعتادت عليه خلال الأسابيع الماضية . اعتادت أن تلجأ إليه في الأزمات وعندما أدركت ماحصل لها ومحاولتها استرجاع ولوذكرى صغيرة عن حياتها الآن وهي تراه يبتعد شعرت بأنها وحيدة . لم تكن تعرف متى ستراه مرة أخرى . ربما لن تراه مرة أخرى وجدت نفسها وحيدة مع روبرت ميلبورن ذلك الإنسان الذي كانت تشعر أنه يعرف عنها الكثير .

– ماذا تفعلين هنا ؟ لماذا وافقت على القدوم ؟

هذا ما كانت تتساءل به .

" لابأس ... ليس هناك مايثير القلق "

تذكرت تلك الكلمات التي كان يرددها سام على مسامعها دائما .

والتي رددها عليها أثناء ودعاها له عند مدخل البيت . سرها كثيراً وعده لها بالزيارة في أقرب وقت .

راقبت سيارته وهي تبتعد . شعرت منذ لحظات أنه كان يود أن يخبرها بشيء ما إلا أنه أحجم عن ذلك الشيء اعتقدت أنه سيساعدها على إنارة عقلها ولوقليلاً .

هل يحمل سام مفتاح ذاكرتها ؟ وهل يمكن أن يكون لروبرت دخل في ذلك ؟ وهل يمكن أن يكون لشعورها نحو روبرت أي دخل ؟

تنهدت بصمت وعادت إلى الغرفة حيث كان روبرت ينتظرها للبدء في حياة جديدة .

وجدته وحيد اً في الغرفة بادرها قائلاً :

– كنت بدأت أعتقد أنك غيرت رأيك وعدت إلى لندن مع سام .

كانت كلماته ملحة . نظرت إليه ،باستغراب ... في الواقع هذا مافكرت فيه منذ قليل . ولكنها أجابته بشدة

– إذا كنت قررت ذلك . كنت سأخبرك بالتأكيد .

لم يعقب على كلماتها إلا أنها بدأت تشعر بالغضب يتصاعد داخلها جلست ونظرت إلى فناجين الشاي سألته .

– هل تود كوباً آخر من الشاي ؟

– لا شكراً . بإمكانك أن تأخذي أنت إذا كانت لديك الرغبة في ذلك .

صبت لنفسها كوباً من الشاى وأضافت إليه القليل من الحليب جلست في صمت . كان قلبها ينبض بقوة . كانت تلك المرة الأولى التي يجلسان فيها لوحدهما تماماً . أختلست نظرة إليه من خلال رموشها . كان يحدق في مجلة بين يديه ولكنه لم يقلب ولا صفحة منذ وقت لابأس به . كان يبدو عليه أنه لم يكن يقرأ أي حرف .

ماهي قصة هذا الرجل ؟

هل ندم على إحضارها إلى هذا البيت ؟

– لقد وجدت غرفتي لطيفة . أكثر مماكنت أتوقع .

قالت أخيراً بأدب

– وماذا توقعت إذن . ان أعطيك غرفة صغيرة أو مخزناً للمؤن ؟ أو أنك توقعت أن أعطيك غرفة خدم ؟

– لا .... بالطبع لا .. ولكن

– ستمكثين هنا لفترة من الوقت . لذلك فمن الطبيعي أن تحصلي على غرفة لائقة < تابع قائلاً > وعلى كل حال لا أتوقع استقبال الكثير من الضيوف .

– آه ... أعتقدت أن سام قال ...

– قال ماذا . ؟

– أنك دعوته لزيارتنا يوم العطلة . ربما سمعت خطأً ...

– آه ... سام .... نعم بإمكانه المجيء إلى هنا ولكني لن أعطيه أفضل غرفة لدي . وعلى كل حال سام لا يلاحظ مثل هذه الأشياء .

– وهل ستعطيه غرفة المؤن ؟

نظر إليها روبرت وقد بدأ يفقد صبره . إلا أنها اتسمت له . حدق فيها للحظة . كانت مشاعره غير واضحة بالنسبة لفينيلا ولكنها شعرت بالسعادة .

مد إليها يده ... خفق قلبها بشدة . وضعت يدها داخلها بينما قبضت أصابعه عليها بدفء .

– تابعي ذلك . < قال بهدوء >

– أتابع ماذا ؟

– الضحك ... الابتسام . هذا سيجعل الأمور أفضل لي ولك . ولنا نحن الاثنان .

صمتت فينيلا للحظة ومن ثم قالت .

– لدي إحساس أنها كانت طبيعتي من قبل أن .. ولكن منذ

الحادث لم يعد هناك مايدعو إلى الابتسام والضحك .

– ولكنك يجب أن تسترجعي هذه الطبيعة إنها هبة من الله . ولن أسمح لك بفقدانها .

نظرت إليه باستغراب . لقد بدا لها صوته دافئاً وعميقاً بدا وكأنه بالفعل يهمه أمرها . فكرت في ذلك ولكنه لا يمت لها في شيء وهي لاتعني له أي شيء . انها فقط موظفة .

هل هذه الصفة تسمح بهذا الاهتمام .

ولكن ماذا يهمها من الأمر على الأقل اختفت لهجة السخرية من كلماته وأصبحت تعابيره أكثر عمقاً وصدقاً ،

إنما ماذا يجعلها في طبعه وفي تعابيره وهل لها الحق في الحكم عليه . وكيف لها أن تقيم طباعه وهي تراه لا يستطيع القيام بأبسط الأمور . توديع < ضيفه عند الباب > صحيح أنه يستطيع التحرك بواسطة الكرسي المتحرك . إلا أن هناك ممرات وأبوابا ضيقة وأدراجاً لا يستطيع تجاهلها .

تنبهت فجأة إلى يدها التي مازالت تقبع بين يديه . حاولت سحبها ولكنه أحكم قبضته عليها .

– بروفسور ميلبورن

– روبرت . < صحح بسرعة > خلال الفترة القادمة سنعيش

معاً في هذا البيت . وعليك أن تناديني بروبرت .

– روبرت < قالت بصعوبة > أرجوك ... أريد أن أشرب الشاي .

أطلق يدها في الحال . تصاعد الدم إلي وجه فينيلا التقطت فنجانها بعصبية . كان إحساسها بأصابعه على يدها مازال قائماً . كان لديها شعور قوي أنه في يوم من الأيام وفي موقف من المواقف قد أمسك يدها ولفترة طويلة راودها هذا الإحساس مرة أخرى عندما خلت إلى نفسها في ذلك اليوم . ولكن كيف يكون هذا . وهي لم تلتق بروبرت قبل اليوم .

شعرت بقشعريرة في جسمها . ماهو السر في ذلك الرجل الذي يدفعها للمكوث إلى جانبه . ماهو سر انجذابها إليه وإحساسها نحوه ؟ ... لوكانت تعرف ...لوكانت تستطيع التذكر .

انتفضت من هذه الفكرة لأنها لم تكن معقولة . فأين لها أن تقابل روبرت ... خاصة وأنه كان قد تعرض لحادث ما هو أيضاً ... صحيح أنها لا تعرف الكثير عن الحادثه التي جرت له وأي الحادثين حصلت في البداية وعلي كل حال هذا لا يؤثر على المسألة الأساسية وهى الشعور الكبير بالألفة الذي تشعر به نحو روبرت . كانت تشعر وكأنها بين ذراعيه .

عادت بذاكرتها إلى جلستها معه قبل قليل .

كانت قد وضعت كوب الشاي ومكثت لفترة تحدق في الفنجان الفارغ . سألها :

– هل صحيح أنك لاتتذكرين أي شيء عن حياتك قبل .... قبل الحادث ؟ < سألها بهدوء >

حبست فينيلا أنفاسها . كانت تلك المرة الأولي التي يشير فيها إلى فقدانها لذاكرتها . أو أنها كانت المرة الأولى التي تشعر فيها باهتمامه الجاد . هزت رأسها نفياً . أخفضت نظرها .

شعرت لفترة من الوقت باقترابه منها وقربه أيضاً . كان باستطاعتها الإحساس بأنفاسه قريباً من وجهها . سألها :

– ألا يمكنك أن تتذكري ولو نكتة واحدة . ولوذكرى واحدة شارك فيها إنسان ما ألا تشعرين بفقدانك وشوقك إلى إنسان ما . إنسان كنت تحبينه في يوم من الأيام ؟

رفعت فينيلا رأسها وحدقت فيه . أمتلأ قلبها بالحزن والصداع اللذين تصاعدا إلى عينيها . تساءلت

" لماذا لا تشعر بالكره نحو روبرت ميلبورن خاصة وأنه يضعها وجها لوجه أمام مايزعجها وما تحاول عدم التفكير فيه " مرة أخرى هزت رأسها نفياً . لكن ارتجفت شفتاها من تأثير التعابير التي ظهرت

على وجهه .

– أنا لا أتذكر أي شيء ‹ صرخت في وجهه › لا أتذكر أي شيء . حتي أني لا أعرف أن كنت على علاقة حب مع أحد . ولكن لابد وأنه كان لدي حبيب . ففتاة في السادسة والعشرين لابد وأنها تعرضت لمثل هذه التجربة . ولكن رغم ذلك نسيته تماماً كما نسيت كل شيء .

غطت وجهها بيديها ورددت عليه ما رددته لسام مراراً وتكراراً .

– ولكن لا ... لايمكن أن يكون هناك من أحد وإلا كان سأل عني وبحث عني في كل مكان . بل كان سيصر على مقابلتي وحتي ،وإن لم أتعرف عليه ‹ أخفضت رأسها قليلاً ومن ثم نظرت إليه › أظن أنني كنت سأتعرف عليه في الحال . أليس كذلك ؟

كانت هناك فترة من الصمت ومن ثم قال روبرت بهدوء .

– لا أدري يافينيلا . ربما ...وربما لا .... أنا آسف لأنني فتحت هذا الحديث من الواضح أنه يؤلمك جداً ومع ذلك .... ‹ أنحنى إليها مرة أخرى ممسكاً بيدها بين راحتي يديه لدرجة إحساسها بدفء يديه يجتاح جسمها كله . تابع قائلاً ›

– عندما تشعرين بأنك على استعداد للتكلم تذكري أنني سأستمع إليك .. اتفقنا .

حدقت فيه محاولة قراءة التعبير الذي رأته في عينيه السوداوين .

– حسناً سأتذكر .

نظر إليها لبرهة ومن ثم أطلق يدها قائلاً بنعومة كبيرة . جلبت الدموع إلى عينيها .

– لم لا تصعدين إلى غرفتك وترتبي حقائبك . لابد وأنك متعبة ؟ ‹ صمتت قليلاً ثم تابع › ليس من واجبك المكوث إلى جانبي بشكل دائم . عيشي حياتك فينيلا . كوني صداقات جديدة فلن تكوني مشغولة معي إلا لساعات قليلة خلال اليوم . تسارعت أنفاسها من مجرد التفكير تصورت نفسها تخرج إلى العالم الخارجي . تسير في الشوارع وحيدة ... لا لم تكن مستعدة لمثل هذه المغامرة . تمنت لو أنه يستطيع مرافقتها ولكن ذلك مستحيل .

– ألا تود الخروج .... ربما تستطيع ..

– لا .. ‹ كان صوته حاداً › لن أخرج إلى الشارع مدفوعاً على كرسي متحرك تماماً كالطفل . سأخرج عندما أستطيع الاعتماد على قدمي وليس قبل ذلك . ولكن هذا لا يمنعك من الخروج واستكشاف المكان . ستكتشفين أنه رائع .

– نعم ... ‹ شعرت أنها لم تعد تستطيع تحمل التغير السريع لمزاجه › أعتقد أنني سأصعد إلى غرفتي لترتيب ثيابي .

ومن ثم سأذهب في نزهة حول المكان ... متى تقدم السيدة بينيت العشاء؟

– العشاء؟ < نظر إليها وكأنه لم يسمع في حياته مثل هذه الكلمة > آه... حوالي السابعة والنصف .. أعتقد ذلك .

كان روبرت يتكلم وكأنه يعيش في البيت كضيف . تساءلت فينيلا . هل يعقل أنه لا يهتم إطلاقاً بما يجرى في البيت . تابع قائلاً :

– لم لا تسألينها بنفسك لابد وأنها في المطبخ .

– إذن سآخذ معي أدوات الشاي < رفعت الفناجين ترددت قليلاً وسألته> هل يمكنني أن أقدم لك أية خدمة قبل أن أذهب ؟

– لا .... شكراً

نظر إليها ملياً . استطاعت من خلال هذه النظرة أن تشعر بإحساسه الداخلي . ذلك الإحساس الذي تجلى واضحاً . كان يحاول أن ينقل إليها رسالة ما لكنها لم تكن لتعرف ماهي . أرتجفت يداها واهتزت الفناجين . استدارت بسرعة وغادرت الغرفة .

ما أن أصبحت في الخارج حتي استندت على الجدار في محاولة للتخفيف من التوتر الذي كانت تعانيه . ماذلك الشعور الذي كان ينتابها نحو روبرت ؟ لماذا تشعر بأنها تعرفه منذ زمن طويل .

وليس معرفة سطحية وإنما معرفة عميقة . كان هناك شعور عميق يكمن داخلها .

ولكن ذلك غير ممكن . فإذا كانا قد التقيا . لم لم يقل لها إي شيء؟ فلابد وأنه سيساعدها كثيراً على استعادة ذاكرتها .

تابعت فينيلا طريقها إلى المطبخ . استغربت من نفسها معرفتها للطريق إليه . تذكرت كلمات الطبيب لقد نبهها إلى تلك النقطة من قبل . إذن ... لابد وأنها قد عاشت في هذا البيت أو على الأقل أتت إليه .

أنتابها شعور غريب وهي تدخل الغرفة الواسعة المضيئة كان المطبخ أليفاً ... تذكرت أنها شعرت بنفس الإحساس من خلال عيني روبرت وهو ينظر إليها .

الفصل الثالث

– هل ترغبين فى أيام قليلة للتأقلم مع الوضع ؟

< سألها روبرت أثناء تناول العشاء > أو أنك تودين مباشرة عملك في الحال ؟

نظرت إليه فينيلا . كان قد قاد كرسيه المتحرك وتصدر طاولة العشاء وإلى جانبه جلست تقابلها النافذة المطلة على الحديقة المليئة بالزهور .

– أنا على استعداد لمباشرة العمل في أي لحظة . ولكني لست متأكدة تماماً مما هو مطلوب مني سمعتك تتحدث عن بعض البحوث .

– نعم .. على كل حال ليس لدي الكثير منها في الوقت الحاضر . فالعمل الجاد سيأتي فيما بعد . أما الآن أعتقد أنني سأعمل في بعض الأوراق والكتب التي جلبتها معي وستعملين معي لكي تتعرفي على طريقتي في العمل وماهي المعلومات التي يمكن أن أكون بحاجة إليها .... أظن أنها ستكون في البداية أعمال سكرتارية هذا إذا لم يكن لديك مانع .

كانت لهجته رسمية وجادة وكأنه قد قرر عدم السماح لأي علاقة أخري للنمو فيما بينهما . كالصداقة مثلاً . كان واضحاً أنه حدد الأسس التي ستكون عليها هذه العلاقة . مبدأ الرئيس والمرؤوس

" هل هذا ماياسبك . حسناً هنا ما يناسبني أيضاً "

هكذا فكرت فينيلا خاصة عندما تذكرت النظرة التي رمقها بها أثناء مقابلتها له في الزيارة الأولى . فهي غير مستعدة لمثل هذه الأشياء في الوقت الحاضر على الأقل .

شعرت فجأة بالضياع .. لم تكن تستطيع التحمل أكثر من ذلك استعادت في ذاكرتها الليلة الأولى التي وصلت فيها إلى هذا البيت . واستعادت السؤال الذي بقي يلح عليها طوال الليل . هل يعقل أنها كانت واقعة في الحب في حياتها الماضية ؟

هل هناك رجل يهتم ويعتني بها وهي تحبه بدورها ؟

إذا كان ذلك . أين هو الآن ؟ لماذا لا يبحث عنها ؟ أو يكتب لها أو يراسلها ؟ لماذا لايأتي إلى شقتها في لندن لزيارتها ؟

الأجابة التي لم تستطع الهروب منها كانت مرة وصعبة ليس هناك من أحد ... أنها وحيدة . لا عائلة. لا أصدقاء . لاحبيب .. ولكن لماذا ؟

" لا أعتقد أنني من النوع الذي يحب الوحدة < فكرت فينيلا > فأنا

أحب الناس .. أنا متأكدة من ذلك "

لاحظت أن روبرت يراقبها تصاعد الدم إلي وجهها . حاولت أن تتذكر السؤال والحديث الذي كان يوجه إليها منذ برهة .

لقد كان شيئاً حول أعمال السكرتارية التي كان عليها القيام بها .

– لا ... ليس لدي أي مانع . أعتقد أنها فكرة جيدة . ماهي الساعات المفضلة لديك للعمل ؟

– كأي كاتب آخر .. طوال اليوم . فكتابة الكتب كأي عمل آخر وخاصة بالنسبة لي . فأنا لا أنتظر الالهام لكي أكتب فنوعية كتبي لا تحتاج إلى الكثير من الأحاسيس فهي كتب تاريخية كما تعلمين أما من ناحية أخري . فأنا أتناول فطوري لوحدي لأنني لا أستسيغ التحدث إلى أحد قبل تلك الساعة . لذا بإمكانك القيام ببعض الترتيبات مع السيدة بينيت وحسب راحتك بعد التاسعة أقوم ببعض التمارين والعلاج الفيزيائي مع جون . وبهذا لن يكون بإمكاني البدء بالعمل قبل العاشرة . سنعمل حتى الواحدة . بعد ذلك نتناول غداء خفيفاً وفيما بعد نتابع حتي الرابعة أو الخامسة أعتقد أنه خلال الأيام الأولى يمكنك قضاء الوقت في قراءة كتبي لتتعرفي على أسلوبي في العمل والكتابة . أظن أنك ستجدينها مملة نوعاً ما < ابتسم لها بمرح > .

– أنا متأكدة أنني لن أمل منها . فأنا أحب التاريخ .

«توقفت فجأة فهذه المعلومة لم تكن معروفة لديها إلا الآن وبعد أن نطقتها » أظن أنني سأحب قراءة كتبك .

– ألم تقرأي بعض الكتب التاريخية من قبل .

– لا أدرى وكيف أستطيع ؟ فأنا لاأعرف ماهي الكتب التي قرأتها حتي الآن.. أنا لا أعرف أي شيء عن نفسي . لقد فقدت كل شيء .

وضعت يدها على جبهتها بألم .

– هل هذا صحيح . دعني أرى . ماذا تذكرين عن أليس ؟

– " أليس في بلاد العجائب " ولكن

– الشيخ والبحر .

– أرنستت هيمنغراي . ولكن روبرت ... هذا لايعني أي شيء لقد قرأت هذه الكتب وأنا صغيرة .

– وهذا يفسر أنك بدأت تتذكرين شيئاً ما . وكما هو معروف تبدأ الذاكرة بالرجوع منذ الطفولة ومن ثم المراهقة . وهناك شيء آخر فأنت باستطاعتك الطباعة علي الآلة الكاتبة ... أرى أن هناك أشياءَ كثيرة قد تذكرتها إذن لم الخوف ؟

حدقت فيه فينيلا قائلة :

الأشياء ولكنها غير مفيدة . لقد فقدت الكثير من ذكرياتي . والداي مثلاً أنا لا أتذكرهما أبداً ذكريات الطفولة معهما . عطلاتنا التي قضيناها معاً . نصائحهما لي حياتي معهما كلها ذهبت . هل تستطيع أن تفهم ماذا يعني هذا .

نظرت إلى صحنها البرهة شعرت بالدموع تحرق مقلتيها تابعت .

– وخلال الفترة التي تلت وفاتهما . هل من المعقول ألا يكون لدي أي إنسان حبيب أو صديق أنا خائفة من هذا الوضع وهذه الوحدة .

ترددت كلماتها في الغرفة الهادئة . وجهت فينيلا نظرها إلى النافذة . لم تكن ترغب في النظر إلى الرجل الجالس علي الكرسي المتحرك على بعد خطوتين منها . إنها المرة الأولي التي تحدث فيها أحداً حول تلك الأحاسيس التي تنتابها . شعرت بالتوعك .

– هل مازلت تعتقدين أنه لم يكن هناك إنسان خاص في حياتك ؟

– لقد قلت لك . ليس لدي أدنى فكرة ... ولكني متأكدة أنه لو كان هناك من أحد ، لم أكن لاستطيع نسيانه بسهولة .

– ربما ... ربما هناك شخص خاص ولكنك تودين نسيانه أو ربما عليك الاعتراف بعدم وجوده على الأطلاق .

– ولكني لا أتذكر أي شيء ...صحيح أنني أتذكر بعض

– نعم ...أظن ذلك .

ولكن تلك الفكرة جلبت الحزن إلى قلبها شعرت وكأنها فقدت شيئاً مهماً ، شيئاً كان غالياً عليها .

أختلست نظرة إلى روبرت وإلى تفاصيل وجهه وإلى جسمه الذي كانت متأكدة من طوله إذا ما تسنى له الوقوف على قدميه .

– أنا آسفة < قالت بصوت منخفض > أظن أنك تعتبرني ميالة إلى الحزن قليلاً . خاصة وأنه لا يحق لي ذلك . فأنا في كامل صحتي وأستطيع الوقوف والتحرك بينما أنت ....

– لايجب أن تقولي هذا . فالشيئان مهمان . ولايمكن أن نخضعهما للمقارنة . ولكن الأكيد في الموضوع أنه كل واحد منا يجب أن يجد للآخر حلا ومواساة . وأن يعتاد على ما حصل له .

– لقد قررت أن تمشي من جديد ولكني لا أستطيع أن أقرر إسترجاع ذاكرتي . مشكلتي تختلف .

– هذا صحيح . < نظر إليها بامعان تلك النظرة النفاذة الحارقة والمربكة في آن واحد > انظري . لقد حدث لك شيء تودين لو أن عقلك لا يتذكره أبداً وقد قررت أن ترفضي تذكره . ولكن لسوء الحظ محيت من ذاكرتك تلك الحادثة وحوادث أخرى أيضاً .

هذا في عقلك الباطن . فأنت تفضلين عدم معرفة أي شيء تفادياً من تذكر تلك الحادثة . إذن لماذا لاتقرين بهذا وتبدأين حياتك من جديد . هنا ... في هذا المكان . ألم ينصحك بذلك الدكتور سام ؟

– نعم ولكن ...

– إذن ... لم لاتأخذي بنصيحته ؟

– ولم لا تأخذ أنت أيضاً بنصيحته .. وفي النهاية من أنت وماذا تكون بالنسبة لي حتى تقرر عني أشياءً تخص حياتي ؟

رأت الانزعاج علي وجهه واضحاً . انتبهت إلى أنها ذهبت بعيداً في تهجمها عليه إلا أنه لدهشتها ابتسم لها قائلاً :

– هذه فينيلا ... < قال بصوت منخفض > هذه روحها استدار بعد ذلك . لكنها استطاعت أن تري قبل ذلك تعابير الألم على وجهه . لم تفهم سبباً لهذه المشاعر ... فكرت هل رأت تلك التعابير أم أنها تخيلتها .

– إذن ماذا قررا ... في البداية عليك قضاء بعض الوقت في عملية تآلف مع محيطنا هنا ومع عملي خلال ساعات العمل فقط . ماعدا ذلك أنت حرة في التنزة وقضاء الوقت خارج المنزل إذا أردت .

انتهوا من تناول وجبتهم . بعد ذلك تحدثوا حول التاريخ وحول

أعمال روبرت . شعرت من خلال الأحاديث تلك بالراحة والهدوء خاصة وأنه غير الحديث حول ذاكرتها وفقدانها لها لدرجة أنها استمتعت بالحديث وشعرت بالاسترخاء وبدأت تستعمل اللهجة الأليفة معه .

عندما اصطحبه جون إلى غرفة التمارين الفيزيائية . خرجت فينيلا إلى الحديقة وبدأت بالتفكير . من هو روبرت ميلبورن وما هو السر الذي يجذبها إليه .. ولكن من هو في حقيقة الأمر هل يعقل ألا تكون هناك إمرأة في حياته . إمرأة أحبها وأحبته ولكن أين هي الآن . جعلتها هذه الفكرة تجلس متعبة مرهقة علي كرسي في الحديقة . لما لم تفكر في هذا قبل الآن ؟ هل يعقل أنها كانت مشغولة في حياتها والكابوس الذي يتهددها لدرجة أنها لم تفكر إطلاقاً أن هناك أناساً آخرين يعيشون حولها لهم حياتهم ومشاكلهم . تذكرت كلمات روبرت . صحيح لا يمكن أن تكون هي فقط محور الحياة . لابد وأن يظهر أصدقاؤه وصديقاته الذين كانوا جزءاً من حياته قبل الحادث .

بدون ارادة منها اعترفت فينيلا أن روبرت وبرغم الوضع الذي فيه مايزال يمتلك جاذبية مميزة والحقيقة التي أزعجتها أكثر أنه لابد وأن هناك نساءً في حياته على الرغم من انه لم يأت علي ذكر أي

منهن . ولابد وأن هناك إمرأة خاصة جداً وستأتي قريباً لزيارته . وقفت بانزعاج . هذا ماكان ينقصها أن تترك للشعور الذي كان ينمو داخلها أن يؤثر عليها . أن تسمح لجاذبية روبرت أن تغير من مجرى تفكيرها وكأنها مراهقة غرة .

ولكن لم يكن شعورها مجرد أنجذاب حسي . كان لديها الإحساس الأكيد أنها مرت بتلك الحالة من قبل . لقد قابلت روبرت قبل الآن فلمساته لم تكن غريبة عنها . والانجذاب الحسي الذي كانت تشعر به نحوه ليس جديداً عليها .

ولكن مالها وهذا التفكير . لاحظت أن هذه الأحاسيس ستجلب لها المتاعب خاصة وأنها لاتدري حتى الآن إذا كان هناك رجل في حياتها .

ترددت ألا تخوض مثل هذه المسائل إلا بعد أن تسترد ذاكرتها وصلت لذلك القرار ولكنها شعرت بالحزن يغمر قلبها .

استدارت وعادت إلى غرفتها .

قضت فينيلا الأيام القليلة التالية تنفذ ما أقترحه عليها روبرت تقرأ كتبه . تكتشف الحديقة والبيت . تتعرف على بقية الخدم والقائمين على البيت السيدة بينيت وجون ووالتر الذي يهتم بالحديقة .

– كلنا ننادية هكذا لأن أسمه بينيت أيضاً وأخاف أن يعتقد

الناس أننا متزوجان وهذا مالا أود أن يحدث أبداً

قالت لها مدبرة المنزل ذلك وهما جالستان في المطبخ تشربان قهوة الصباح .

إلا إن والتر كان يقنعها دائماً بالعكس ويشجعها على قبوله كزوج كان يقول .

– تزوجيني على الأقل لن تضطري لتغيير أسمك .

– ولكنك ستضطر إلى تغيير اسلوب حياتك . فأنا لا أتزوج رجلاً يلبس قمصانا غير نظيفة والثقوب منتشرة هنا وهناك .

– ولكن لن ألبسها حين نتزوج . أعني ...أنك لن تقبلي بذلك . بل ستقومين علي إصلاحها لي وستحافظين على نظافتي ووسامتي < كانت فينيلا تخفي ابتسامتها وهي تستمع إليهما> لقد خلقت لتكوني زوجة صالحة لرجل محظوظ . لم لا يكون هذا الرجل بينيت والتر بينيت .

– هل أقول لك شيئاً . إذا لم يكن لديك عمل فأنا لدى الكثير < وقفت السيدة بينيت معلنة انتهاء تلك المناقشة > وإذا كنت انتهيت من تناول قهوتك ضع فنجانك وفتش عن شيء تفعله < نظرت إلى فينيلا قائلة >

– كيف وجدت الغداء اتساءل إذا كان لديك من يطهو لك

الطعام في شقة لندن . أو ربما كنت معتادة على تناول طعامك في المطعم . أظن هذا مايفعله الناس هناك .

ابتسمت فينيلا . فكما عرفت من السيدة بينيت أنها لم تزر لندن إلا مرة أو مرتين في حياتها إحدى هذه المرات عندما زارت لندن لحضور المهرجان البريطاني منذ اربعين عاماً لقد كانت بعيدة عن الحياة التي تعيشها فينيلا . هذاما فكرت به فينيلا .... كيف لها أن تعرف حياتها والنمط المحيط بها ولكنها من المؤكد أنها لم تستطع أن تخبرالسيدة بينيت عن طريقة تأمين وجباتها .

لحسن الحظ لم تنتظر السيدة بينيت إجابة بل اتجهت لتواصل عملها استدارت هي الأخري ودخلت إلي الغرفة المخصصة لها ستكون أكثر حرصاً في المستقبل لم تكن تريد أن يعرف الجميع عن فقدانها لذاكرتها .

– قلت لك إنه لايتحتم عليك قراءة كتبي أثناء أوقات راحتك < توجه إليها روبرت على كرسيه المتحرك >

– ولكني أريد ذلك . فهذا الكتاب مثلا ممتع جداً وسهل الفهم يبدو لي وكأنني ....

– وكأنك قرأتيه من قبل ؟

– لا أدري .. < قالت ببطء > أعتقد أنه ربما فأنا كما أبدو

أحب الكتب التاريخية . وأعتقد أنني كنت دائماً هكذا . إذن ربما كنت في يوم من الأيام مهتمة بكتبك أو قرأت جزءاً منها .

< نظرت إليه بعيون واسعة ورمادية كالبحر الهائج > ولكن لم لا أتذكرها بسهولة كما أتذكر أبطال القصص أو مؤلفي بعض الكتب؟

– ربما لأنك قرأت كتبي مؤخراً أما الكتب الأخري فقد قرأتها منذ الطفولة ولكن على كل حال يسرني جداً أنك أعجبت بكتبي < توقف قليلاً ثم تابع > ألا ترغبين بالخروج بين فترة وأخرى لم تخرجي عن محيط البيت والحديقة منذ أن أتيت أي منذ أسبوع لماذا ؟

– لأنني مسرورة هنا . يوجد هنا حديقة كبيرة .

– ولكنك لا تشاهدين أحداً ولا تكونين أية صداقات .

بالتأكيد أنت بحاجة إلى صحبة أحد .

نظرت إليه فينيلا بحدة وشيء ما في صوته بدا لها غير حقيقي شعرت أنه يقول ما يجب أن يقال وليس ما يشعر به في الحقيقة < إنه لا يريدني أن أخرج على الأطلاق هكذا فكرت فينيلا بل يريدني أن أعتقد بذلك . ولكن لماذا ؟ " سألت نفسها .

– قلت لك .. أنا أشعر بالسعادة هنا . أنا لا أريد ...

أقصد لا أشعر بالحاجة إلى صحبة أحد أو لقاء أناس آخرين....أرجوك لاتضغط علي ياروبرت .

– ولم لا ... فأنا من واجبي أن أقوم بذلك وفى نفس الوقت أضغط على نفسي .

كان ذلك صحيحاً .فروبرت كان يقوم بجهود جبارة للمواظبة على التمارين الفيزيولوجية وعلى تقوية عضلاته للوقوف علي قدميه مرة أخرى .

– ولكن هذا يختلف . أنت تريد السير من جديد ولكني بحاجة إلى استرداد ذاكرتي .

– وأنا أعتقد أنك تخطئين في محاولتك الحثيثة في استرجاعها يحتمل أن تستردها أو لا تستردها ولكن يجب أن تحاولي بناء حياتك من جديد .

– لماذا ؟ < سألته بيأس > لم لا أستطيع العيش بهدوء ؟

روبرت إذا بدأت في مقابلة الناس فإنني سأكون مضطرة لشرح مشكلتي باستمرار وعلي أن أعترف أنني لا يمكنني تذكر أي شيء هذا مالا أستطيع مواجهته . واحب الشرح ومشاهدة الشفقة على وجوههم ... لا .. لا أستطيع أن أقوم بذلك .

نظر إليها لفترة ليست بالقصيرة ومن ثم أمسك بيدها وضغط على

أصابعها المرتجفة .

– حسناً فينيلا ... لاتقلقي .. لن أجبرك على أي شيء ... ففي يوم ما ستجدين نفسك مجبرة على ذلك .

– أعرف ذلك . ولكن ليس قبل أن أكون مستعدة .

تقابلت عيونهما . كانت عيناه رماديتين كعينيها . شعرت مرة أخرى بصدمة . صدمة تذكر شيء ما لا تستطيع تحديده . ولكنها بالتأكيد تعرف أن هذا الإحساس ليس غريباً عليها . هل هذا انجذاباً جسدياً فقط بين إمرأة ورجل يجلسان متقاربين كما كانا جالسين ؟ ...." ولكن هذا يحصل كثيراً في أماكن العمل وفي الباص" فكرت فينيلا .... لقد شعرت بهذا الابجذاب لأنها تمر بمرحلة نفسية صعبة هكذا أقنعت نفسها وإلا لكانت كل مريضة وقعت في حب طبيبها .

على كل حال لم تستطع المكوث أكثر من ذلك إلى جانبه ويدها في يده وعيناها تنظران إلى عينيه . لا ... لا يمكنها أن تخفي شعورها نحوه .

– أنا آسفة روبرت . < كانت ترتجف > علي أن أدخل فالشمس < سحبت يدها بسرعة أو كادت أن تسقط الكتاب من يدها استدارت وولت هاربة إلى البيت >

في غرفتها ... اتجهت إلي النافذة ونظرت إلى الأسفل حيث الحديقة ... أنبت نفسها على تصرفها الأرعن . ماذا فعل روربرت لكي تركض هكذا و تهرب منه ؟ .. ماذا سيفكر فيها الآن؟ اتجهت إلى المرآة وكلمت نفسها .

« إذا لم تكوني شديدة الانتباه . فسيعمد إلى الاستفادة منك للعمل من أجله ... عليك العودة إلى لندن وهناك ستبنين حياتك من جديد »

عكست لها المرآة وجها شاحباً وعينين يكسوهما الحزن .

تلك الفكرة لم تجلب لها الراحة شعرت بالجمود يجتاح كيانها إذا غادرت روبرت فلابد وأن حياتها ستنتهي أما إذا بقيت فمن المؤكد أنها ستبدأ حياتها من جديد إذن هل هي بحاجة إلى هذا البيت البعيد عن لندن < هل هي بحاجة إلى الهدوء المسيطر علي ذلك المكان ؟ أم أنها بحاجة إلى روبرت ؟

بعد أسبوعين من مكوثها في بيت روبرت . انتهت فينيلا من قراءة كتابين وبدأت بالثالث . تساءلت إذا كانت قد قرأت تلك الكتب من قبل . حيث إنها كانت معروفة جداً . أحد تلك الكتب أعتبر من أفضل الكتب المباعة في الفترة الأخيرة وكان لديها شعور غريب بأنه ليس غريباً عنها . بل شعرت وكأنها كانت تعرف مضمونه قبل

أن يدون على الورق . شعرت وكأن روبرت قد تكلم إليها عنه مطولاً . ذلك الشعور أثار فيها الاضطراب . أغلقت الكتاب واتجهت بنظرها إلى الخارج وكأنها تود أن تسأل الطبيعة عن كل مايقلقها ويثير اضطرابها . لكنها لم تكن تدري كيف تصيغ أسئلتها تلك . وكيف كان للطبيعة أن تجيبها ؟

– تبدين شديدة القلق والتفكير ....

قفزت من المفاجأة . وقع الكتاب من يدها نظرت إلى الأعلى لتفاجأ بوجه غريب لشاب ذي شعر بني وعيون زرقاء كان يبتسم لها ويدعوها إلى الابتسام أيضاً . حدقت فيه ... توقف الرجل عن الضحك ، وبدا الاهتمام على وجهه .

– هل ... هل أخفتك ... أنا شديد الأسف . لماذا هذا الخوف ؟ لن اتسبب لك بالأذى .

جلس بجانبها وأمسك يدها قائلاً :

– هل أستطيع أن أقدم لك أي شيء ؟ لقد أصابك الشحوب صدقاً لم أقصد ذلك أبداً ....

– لا بأس < رفعت فينيلا يداً مرتجفة إلى رأسها > سأكون بخير خلال لحظات . إنها ليست غلطتك . < اجبرت نفسها على الابتسام > لقد كنت مريضة ولهذا تراني متوترة قليلاً إنني حمقاء.

– لا .. لست حمقاء < كان صوته مريحاً > بل أنا الأحمق . لأنني أخفتك بتلك الطريقة أنا أندرو بينيت . على فكرة السيدة بينيت خالتي . سأبقى في القرية لعدة أسابيع لذلك أتيت لزيارتها .

– السيدة بينيت ... خالتك ؟

– شيء من هذا ... ليست خالتي تماماً ولكنها قريبة لي منذ وفاة والدتي وأنا أعتبرها كذلك . لقد دبرت لي مكاناً عند صديقة لها أثناء إقامتي من أجل عملي .... المكان هنا جميل وساحر ألاتعتقدين ذلك ؟

هزت فينيلا رأسها نفياً كانت مستغربة من تصرفات القادم الجديد.

– لا أدري في الحقيقة لم أر المكان بعد .

– لم تشاهدي أياً من الأماكن الجميلة التي تحيط بهذا البيت ولكن كم مضى عليك في هذا المكان ؟

– حوالي ... < فكرت فينيلا قليلاً في محاولة للتركيز > حوالي الأربعة عشر يوماً .

– ولم تشاهدي شيئاً حتى الآن ؟ آه ... صحيح قلت انك كنت مريضة .أليس كذلك .. < نظر إليها بتمعن > ولكنك تبدين بصحة جيدة الآن . خاصة بعد الصدمة التي تسببت لك فيها .

ولكن ماذا كان المرض هل هو خطير ؟

– لا ... إنه حادث لقد أصبحت أفضل الآن . ولكن ...

– حسناً من واجبي أن أريك الجوار . أنا نفسي لم أقض هنا أكثر من أسبوعين ولكني أعرف المكان جيداً . لم لانذهب معاً لتناول فنجان من الشاي . هناك مكان رائع في وسط البلدة تستطيع ....

– أعتقد أنك أتيت إلى هنا لمشاهدة خالتك ؟

– آه ..صحيح ولقد فعلت . حسناً . لاأريد أن أجرح مشاعر خالتي فلنؤجلها إلى الغد .

– أنا لست متأكدة ... فأنا لا أقضي العطلة في هذا المكان فأنا أعمل كمساعدة للسيد روبرت .

. ولكن لابد وأنه لديك وقتاً للراحة أليس كذلك ؟ أعني أنه لا يجعلك تعملين طوال اليوم .

– نعم .. هذا صحيح . ولكن لم أرغب في ...

– ولكنك تريدين أن تعرفي المكان الآن . وهناك الكثير من المشاهد والأماكن التي تستحق المشاهدة . القلعة .. هل تعرفين الملك هنري الثامن حسناً . لقد عاشت معظم زوجاته في هذا المكان. كاترين بار على سبيل المثال . تلك التي جعلت لهذا المكان

قيمته الجمالية ... هل تحبين السير .

– لكن ... نعم ... إنما .

– انظري ... أرجو أن تطلبي مني الأنصراف إذا كانت رفقتي تزعجك فأنا لا أود أن أقحم نفسي على أحد .

نظرت فينيلا إليه ... لماذا تتصرف ممه بهذه الطريقة . إنه يقدم لها خياراً .. شعرت فجأة بالخجل من نفسها ومن رفضها المتوالي لصداقته وصحبته .

– أنا آسفة ... لقد كنت قاسية . لقد أصبحت هكذا بعد الحادث . لم تعد عندي الرغبة في الخروج كثيراً . لقد تعرضت لضربة في الرأس ... وقد .. وقد أثرت علي كثيراً ... أعني لقد فقدت الثقة ..أعرف أنني يجب أن أحاول استعادة الأصدقاء ولكن ليس من السهل أن أبدأ من جديد .

– أفهم ... ولكن لم لا تبدأي بالتدريج < نظر إليها بود > مثل ... أن تأخذي القهوة معي ونزهة ناعمة ولطيفة حول الكنيسة . هل تعملين لساعات محددة مع السيد روربت ؟

نظرت إليه بدهشة سألته:

– هل تعرفه ؟

– أعرف عنه بعض الشيء . فقد أخبرتني عمتي بعض

الأشياء واسمه معروف جداً ... تبدين مستغربة .

– لا ... ولكن لم أبدأ العمل بعد وفق ساعات محددة أنا أقوم الآن بالتعرف على كتاباته < أشارت إلى كتاب في يدها > .

– إذن ليس هناك من مانع في الخروج معي لساعة أولساعتين أليس كذلك . خاصة وأنك لم تخرجي حتى الآن . هل نتفق منذ الآن على القهوة غداً ؟

نظرت إلى مسحة القلق التي كانت ظاهرة على وجهه ترددت قليلاً ولكنها قررت أن تواجه العالم من جديد أن تواجه الناس مرة أخرى والتعرض لاسئلتهم ومع هذا الرجل بالذات .

– أود ذلك ... شكراً لك .

استرخى وجه أندرو وقال :

– هذا رائع . سأقابلك في العاشرة والثث . هل هذا مناسباً ؟ فأنت لا تعرفين البلدة على الإطلاق . لذلك سآتي لآخذك من هنا . لن يستغرق الوقت كثيراً . سنتناول القهوة معاً وسأريك الكنيسة . والآن علي أن أذهب إلى خالتي لابد وأنها تتساءل الآن أين أختفيت .

ابتسم لفينيلا بسرور وغادر المكان باتجاه المطبخ .

– من هو < ظهر روربت على كرسيه المتحرك > من كان ذلك

الرجل الشاب ؟

قفزت فينيلا مرة أخرى من المفاجأة . شعرت بالذنب هذه المرة وكأنها كانت على وشك القيام بعمل ممنوع .

– إنه ... إنه آندرو ... ابن اخت السيدة بينيت . حسناً ليس ابن أختها بالتحديد ولكنه قريب لها . إنه يسكن في القرية ... توقفت عن التكلم بعد أن لاحظت نظرة السخرية التي ظهرت على وجه روبرت . وفي عينيه الرماديتين الجليديتين .

– يبدو أنك تعرفين الشيء الكثير عنه .

– ليس كثيراً < اعترضت وقد احمر وجهها > فقط ماقاله لي جاء لزيارة خالته ليس لديك أي اعتراض أليس كذلك ؟

– لا ... إطلاقاً . فالسيدة بينيت تعيش هنا ومن حقها استقبال الضيوف الذين ترغب فيهم . ولماذا لايفعل .... فهو يزور خالته علي كل حال .

– تقصد أن يزور خالته عوضاً عن التحدث إلي < شعرت فينيلا بالغضب > حسناً كان متوجهاً إليها ولاحظني . ولأنه لطيف قليلاً ليلقي التحية ويعرفني بنفسه . لم أكن أعتقد أن لديك أي اعتراض فيما يخصني لابد وأن لديك اسباباً أخري .

– عزيزتي الصغيرة أرجوك لاتضجريني بحديثك . < أبعد

نظره عنها › أعتقد أن هذا الشاب فعل شيئاً أخر غير إلقاء التحية . فكما عرفت منك لقد روى لك تاريخ حياته . وفي النهاية هذا ليس من شأني . ‹ توقف قليلاً ومن ثم تابع › سيبقي في القرية تقولين؟

– هذا صحيح .

– هذا يعني أننا سنراه لاحقاً هنا ؟ طبعاً لزيارة خالته أو ماذا تكون السيدة بينيت بالنسبة له ؟

– نعم خالته . وأظن أنك محقاً في هذا.

– إذن لاتدعيه يقترب كثيراً منك فينيلا . لاتنسى أنت مازلت في حالة صعبة . ولا أود أن يؤذيك أحد .

" يؤذيني أحد " فكرت فينيلا بتلك الكلمات ماذا يقصد ؟ ماذا يظنها ؟

– انظر روربت . لقد تحدثت إلى أندرو بينيت لدقائق قليلة فقط . كان لطيفاً ومؤدباً لاشيء أكثر من ذلك . ماهو العيب في هذا ؟ اعتقدت أنك طلبت مني أن أقابل الناس وأن أكون أصدقاء .

– نعم .. نعم .. هذا صحيح . ‹ تكلم بعصبية وصبر نافد› ولكن هذا الشاب بالذات .... أظن أنه من النوع اللعوب واللاهي . لاتنسي أنني درست في الجامعة وأعرف هذه النوعية من الشباب.

إنهم لاهون يقضون الصيف مع فتيات جميلات ومن ثم يرحلون وفي النهاية تكون الضحية تلك الفتيات الجميلات .

– أمنهم ذلك ... ولكن بما أنني في السادسة والعشرين من عمري وقد نضجت كفاية وبدون أن أتعرض إلى مثل ماذكرت ... ‹ توقفت قليلاً . كيف كان لها أن تعلم ذلك › فأظن أنني استطيع الاعتناء بنفسي . إنه لطف منك أن تهتم بي ولكن بما أنني أكبر من أندرو بسنتين على الأقل أعتقد أنني استطيع مواجهة أي خطر إذا وجد . والآن اسمح لي سأذهب لتناول بعض الشاي . أعتقد أن السيدة بينيت قد أعدته .

نهضت واتجهت إلى المطبخ . متمنية ألا يكون أندرو قد لاحظ دقات قلبها وارتجاف يديها . لم يكن باستطاعتها أن تدعه يحدثها بهذا الشكل وبتلك الطريقة الآمرة المسيطرة .

لم يتغير شيء فنظرة واحدة من عينيه أو لمسة من يديه كانت كافية لجعلها تضطرب وتفقد السيطرة على نفسها فمجرد وجوده بقربها يجعلها تنسى مئة شاب مثل أندرو بينيت .

فكرت فينيلا بالتخلص من هذا التأثير . ولم تجد غير أفكارها تلك . فهي التي ستساعدها علي إبعاده عنها .

فهي لم تكن ترغب في أي حال من الأحوال أن يعرف روبرت أين

يكمن الخطر بالنسبة لقلبها .

الفصل الرابع

اتجهت فينيلا عبر الغابة وحاولت الوصول إلى الطريق العام .

لم تكن قد قالت لروبرت عن ترتيبها مع آندرو للخروج . فقد كانت ماتزال تشتعل غضباً من محادثتها بالأمس معه في الحديقة . لم تعد إلى ذكر اسم قريب السيدة بينيت الشاب أمامه . ولكنها أيضاً لم تخبره عن عزمها الخروج معه . وعلى كل حال هذا ليس من شأنه هكذا قالت لنفسها وهي في طريقها للقاء آندرو . لقد أختارت أن تستطلع المكان وليكن برفقة آندرو . وماذا يمكن أن يحدث ؟ ولكن لماذا ذلك الشعور الذي ينتابها ؟ ذلك الشعور بالذنب؟ هل هو من عدم إخبار روبرت بالأمر ؟

فقد قررت منذ الصباح أن تخرج للقاء آندرو بدلا من مجيئه إلى البيت لاصطحابها . لمحته من بعيد وقد بدأ يلوح لها بيده .

والابتسامة الواسعة على شفتيه .

هل هذه الابتسامة أثارت في قلب روبرت المخاوف ؟

– أهلاً ... أليس صباحاً رائعاً ... إنه أفضل صيف مر

على هذه البلدة ومن الصعب البقاء في البيت .

وصلت إلى جانبه وبادرته قائلة :

– لم أكن أريد الخروج هذا الصباح . ولكن روبرت يعمل في الوقت الحاضر لوحده ولا أظنه بحاجه إلى مساعدتي . يجب ألا ننسى أنه صاحب عملي .

– هل صحيح ماقلته لي . إنك لم تتجاوزي حدود الحديقة منذ أتيت إلى هنا ؟

– نعم ‹ تذكرت ماقالته لروبرت عن خوفها من مواجهة أسئلة الآخرين إذا ماخرجت ›

– إذن لم تشاهدي أي شيء في وينشكومب . هناك الكنائس والبوابات والتي يمكنني أن أريك إياها الآن ... ألا ترين أنك محظوظة بلقائك معي ؟

– آه ... هذا صحيح . والأفضل من كل هذا أنه لايحيط بك مجموعة من السياح . يمطرونك أسئلة وتوجيهات .

– ولكن هذا ليس مستحيلاً ، فهنا الكثير من السياح الامركيين الأغنياء الذين يحبون رؤيه مباهج هذه المناطق الانكليزية ولديهم السيارات الفاخرة .

– هذا طبيعي وينزلون في أفخم الفنادق .

– هذا صحيح ولكني لا أفضلها على المنزل الذي أنزل فيه حيث الجو العائلي والفطور المنزلي البسيط . ولكن هذا لا يمنع أنه يمكنني القيام بعمل جيد إذا ما قررت ذلك .

كان قد أجتازا بوابة القلعة ووصلا إلى صف من الأكواخ الخشبية والتي تحيط بها الورود . تقابلها جدران الكنيسة توقفا إلى يمين الكنيسة حيث قادها آندرو إليه فهو مكان صغير يقدم بعض الحلويات والشاي ويحيط به حديقة صغيرة .

– دعنا نجلس في الحديقة ... ألم نقل لتونا إنه من الصعب أن نبقى داخل البيوت .

– هل ستنفذ مافكرت فيه في الطريق ياآندرو .

– تعنين عمل الدليل السياحي ..؟ لا ..لا أعتقد ذلك فأنا أفضل أن أكون دليلاً لسائح واحد فقط ‹ نظر إليها بمرح › أظن أن هذا أمتع .

ابتسمت له فينيلا .

– إذن حدثني عن عملك لقد قلت لي إنك هنا من أجل عمل.

– هذا صحيح ولكن هذا ممل خاصة الحديث عن العمل في مثل هذا الصباح المشرق ... هاهي القهوة . والحلويات ... ألم أقل لك إنها لذيذة ؟ ‹ نظر إلى المضيفة › سارة من أفضل الطباخات

هنا فهي تقوم بطهي وإعداد المأكولات اللذيذة .

كم سيكون محظوظاً زوجك ياسارة !!!

أحمرت المضيفة خجلاً وانطلقت هاربة من أمامه .

– لقد أربكتها بكلامك هذا

– لا .. أنا وسارة متفاهمان جداً . الآن .. مارأيك في تناول القهوة .

بعد ذلك تجولا في البلدة واتجها إلى الكنيسة تمشيا خارج الكنيسة وحولها .

– تعالي وأنظري إلى هذا المنظر .

كانت الخضرة المحيطة بالكنيسة رائعة شعرت فينيلا بالراحة والسرور ولكنها فجأة تنبهت إلى الوقت . نظرت إلى ساعتها .

– ياللسماء أنظر إلى الساعة . لم يكن لدي أدنى فكرة عن تأخر الوقت . علي أن أعود الآن . سيتساءل روبرت عن مكان وجودي .

– ولكنك لست مضطرة للعودة . كنت أتمنى أن تتناول الغذاء معي .

– أنا آسفة ياآندرو . ولكني لم أقل لأحد إنني خارجة وإذا لم أكن على الغداء سيقلقون علي . فلنؤجل ذلك إلى يوم آخر ...

لقد تمتعت كثيراً بالخروج معك .

– إلى اللقاء غدا إذن ؟

ترددت فينيلا قليلاً :

– أحب الخروج معك مرة أخرى . حقيقة أحب ذلك . ولكني لا أستطيع أن أقوم بأية ترتيبات الآن . لم لاتتصل تليفونياً ....أما الآن فعلي أن أسرع .

– حسناً . إذن < اصطحبها إلى بوابة البيت > أرى أنه من الافضل أن أتركك الآن . ولكن سأتصل بك تليفونياً مع الوعد بالخروج معي لتناول الغداء في مكان ما .

– أتمنى ذلك أيضاً . سأحاول أن أرتب لهذا قريباً جداً .

لاأظن أن روبرت سيمانع ولم يمانع ؟

لم .... ؟ هذا صحيح فكرت وهي متجهة إلى البيت . ليس هناك من سبب لذلك . ولكنها كانت تشعر بأنه سيعارض .

– أين كنت بحق السماء ؟ < بادرها روربت عندما أطلت على الشرفة التي أعتادوا فيها تناول وجباتهم في الأيام الصحوة . جون والسيدة بينيت بحثا عنك في كل مكان . أعتقدنا أن مكروهاً قد أصابك .

– مثل ماذا ؟

انتاب فينيلا الغضب اتجهت إلى كرسي من الكراسي ورمت نفسها فيه . صبت لنفسها كأساً من الماء المثلج .

– أنا آسفة لقد تأخرت ... ولكني لم أكن أعتقد أنك ستكون على الغداء . فأنت لاتلتزم بمثل هذه المواعيد ومن ثم لم أكن أعتقد أنكم ستقلقون علي . وليس هناك من داع لهذا القلق .

– هذا صحيح ولكن أنت نفسك اعربت عن تخوفك من مواجهة العالم الخارجي وكرهك للخروج وحيدة إلى أي مكان .إذن ماذا تعتقدين أننا سنفكر ونحن نعرف أنك خرجت وحيدة وبقيت في الخارج لفترة طويلة ؟ أنا ....

– أنا لم أكن وحيدة < قالت تلك الكلمات فجأة إلا أنها تنبهت بسرعة إلى الخطأ الذي وقعت فيه ولكن ماالعيب في الخروج مع صديق لها . لم لم تقل له إنها كانت مع آندرو . قررت أن تهدىء من ثورة أعصابها قالت بهدوء > لقد كنت مع صديق .

– صديق ..؟ < رفع حاجبيه استغراباً > حسب اعتقادي ليس لديك أصدقاء هنا .

– لم يكن لدي ... أما الآن فلدي آندرو بينيت . وإذا أردت أن تعرف ماذا فعلنا ... لقد تناولنا القهوة معاً ومن ثم ذهبنا في جولة إلى الكنيسة < رفعت رأسها ونظرت إلى عينه مباشرة > هل

هذا كافي أم أن هناك أي أعتراض ؟ بدا لها منزعجاً ومفكراً .

– فينيلا ... أنت لست مجبرة على إعطائي كل تلك التفاصيل .

– لا .. بل فعلت ماشعرت أنني يجب أن أفعله .

– لاتكوني سخيفة ! فكل ماأردته ...

– أن تعرف أين كنت ؟ وماذا كنت أفعل خلال اليوم ؟

<بدت عصبية وثائرة > اهذا كل شيء ؟ ..هل في رأيك أنه من الأفضل أن أكون دائماً تحت ناظريك ... حسناً أريد أن أنبهك أنني لا أحب أن أكون مسجونة ولن أسمح لأحد بأن يعاملني هكذا .. ماذا كان لي أن أعمل هنا يابرفسور ميلبورن ... أود أن تخصص لي وقتاً أقوم به بما يحلولي .. وقتاً حراً

– فينيلا . هذا من حقك ... وأنا لم أقل غير هذا .

– هذا صحيح ولكن أود أن يكون وقتي بالفعل ... أن أقضيه كيفما أشاء وألا أكون مضطرة للشرح . < توقفت عن التكلم ونظرت إليه . تنبهت إلى أنها كانت قد رفعت صوتها كثيراً ... حاولت أن تهدأ من أعصابها وتابعت > أعتقد أنه عندما كنت أعمل في مكتبك لم تكن لتقلق على كل هذا القلق وما كنت لتسأل وتلح على مثل هذه التفاصيل كانت هناك لحظة صمت .. نظر خلالها

روبرت إليها . كان هناك تعبير مختلف على وجهه . تعبيرا ظنت أن روبرت سيفصح عنه بعزم . إلا أنه قال بهدوء وببساطة :

– لا ... ربما لم أكن لاهتم ولكن الوضع هنا يختلف أليس كذلك ؟ .. أنت تعيشين في بيتي ... وأشعر ببعض المسئولية نحوك. خاصة وأنني أعلم ... وضعك ألست محقاً في قلقي ؟ ومن جهة أخري أنت لست معتادة على الخروج خارج أسوار الحديقة .

قابلت فينيلا عينيه بخجل .

– لا ... أقصد لا أعتقد بأنك تبالغ .. فأنت محق كان علي أن أعلمك بأني سأخرج .

مرة أخرى شعرت وكأنه يود أن يخبرها بشيء .. كان يريد أن ينقل إليها خبراً ما أو ملاحظة ما . وللحظة ما شعرت بأنه قريب منها وبأنها تألفه وقد ألفته في يوم ما . وكأنه لم يكن غريباً عنها اقشعر جسمها . أخفضت نظرها ووقعت عيناها على يده فوق الطاولة . كانت أصابعة قريبة من يدها . تصاعدت المشاعر لديها ..هل هذا حلم أنه تصور هل من المعقول أنها قد عرفته في يوم من الأيام .

نظرت إلى الحديقة وسرحت بأفكارها . تمنت من قلبها لو أنها عرفت روبرت ميلبورن قبلاً وفي حياتها الماضية . لأنها لوصح ذلك

. لكانت عرفت الأمان والحب بالتأكيد .

ولكن الآن .. ليس لديها الأمان ولا الحب . ليس لديها إلا الألم وفقدان شيء ربما لم تكن تملكه في يوم من الأيام . ملأت الدموع الحارقة مقليتها . أعتذرت منه ونهضت متجهة إلى البيت تاركة روبرت ميلبورن حبيس كرسية على الشرفة تماماً كما تشعر هي بفقدانها لذاكرتها ولكنه أفضل منها علي الأقل .

خلال ذلك الأسبوع قرر روبرت البدء في تأليف كتابه . وجدت فينيلا نفسها مشغولة طوال الأيام تدون معلومات أو تبحث في الكتب لذلك كانت تقضي معظم الوقت في المكتبة الضخمة التي شغلت غرفة كبيرة من البيت . وسرعان ما اندمجت في العمل لدرجة أنها لم تعد تفكر في أندرو بينيت وفي خططه للخروج معها .

وفي المساء وعندما يقرر روبرت التوقف عن العمل . كانت تقضي الأمسية في نقاش معه حول العمل المنتظر في الغد أو العمل الذي أنجز خلال ذلك اليوم .

– لابد وأن الناس كانوا يتعذبون خلال الحصار < قالت وهما يتناولان أحدى الأطعمة التي أعدتها السيدة بينيت > تصور نفسك وأنت تأكل حيواناتك الأليفة . أو الأسوأ مثل التقاط الفئران. < اشمأزت من الفكرة > آه ولكني أفضل هذه الأكلة اللذيذة

. فالسمك أكلتي المفضلة .

تلا الغرفة صمت نظرت فينيلا خلالها إلي روربت . كيف عرفت أن السمك هو طعامها المفضل .

– أنت تعرفين ذلك أليس صحيحاً ؟ < كان يردد كلماتها > لقد عرفت الأكلة قبل أن تريها ومن رائحتها < إنحنى إليها قليلاً أصبح صوته أكثر رقه > كيف عرفت ذلك فينيلا ؟ هل تتذكرين أنك تناولت هذه الوجبة من قبل وفي مكان ما ... ربما .. من إنسان خاص جداً بالنسبة لك ؟

حدقت فيه فينيلا .. كانت عيناه تحملان عاطفة واضحة شعرت بالتوتر الذي كان يعانيه . حبست أنفاسها ... هل يعقل أنه عرف ماكانت تفكر فيه ... ولكن كيف ؟ ولماذا ؟

كيف يمكن لذلك الرجل الذي لم تعرفه من قبل أن يفهم ماتفكر فيه أو ماتحس به ؟

أخفضت نظرها وأبعدتهما عن وجهه قبل أن تخونها أفكارها وكلماتها فلم تكن ترغب في قول ما لايجب أن يقال .

– لقد كانوا يأكلون الحيوانات الموجودة في حديقة الحيوانات في باريس أثناء الحصار < همست أخيراً > فذلك الفيل المسكين .....

لم تعد تستطيع الاستمرار في الحديث لحسن الحظ أخذ روبرت عنها دفة الحديث وتابع ..ربما لأنه كان يود أن يخرج من دائرة التوتر والارتباك اللذين كانا يحسان بهما .

– ليس فقط أثناء الحصار ... فالناس يتصرفون تصرفات همجية أثناء المجاعات . تصرفات لا يمكن أن تتصوريها إلا إذا قرأتيها في الكتب .

– هناك أشياء كثيرة وغريبة . فالمواضيع التي قرأتها اليوم حول الأساليب التي كان يستخدمها الجنود أثناء الحروب للاتصال مع الوحدات القيادية والطريقة التي كانوا يرسلون فيها رسائلهم إلى أصدقائهم وأقربائهم ....

توقفت عن الكلام .. لماذا كانت تتحدث بتلك الطريقة ؟ هل لأنها كانت تخاف من التوقف < هل كانت تخاف من الكلمات التي يمكن أن تقال فيما إذا عن الصمت بينهما ؟ ماالذي كان يحدث لها ؟

وماذا عن روبرت .. هل كان لديه نفس الإحساس. أو أنها توهمت تلك النظرة في عينيه وذلك التوتر الذى كان ينتابه وتلك الرسالة التي كان يحاول جاهداً أن يوصلها إليها . لم يعد لديها ماتقوله ولم يحاول روربت أن يقول شيئاً تصاعد التوتر بينهما وملأ الغرفة .

رفعت فينيلا إليه نظرها وحدقت فيه . كانت عيناه تتكلمان معها .

يداه على الطاولة وقريبتان جداً من يديها كانت تستطيع أن تشعر بالدفء الذي ينبعث منهما .

– أنا .... < بدأت بالحديث مرة أخري ولكنها نسيت ماذا كانت تريد أن تقول . أخذت نفساً عميقاً وأبعدت يديها ونهضت بسرعة قائلة > سأنقل هذه الأشياء إلى المطبخ .

وبدون أن تعاود النظر إليه بدأت في جمع الأطباق الفارغة ونقلها إلى المطبخ وما أن أصبحت خارج الغرفة حتى أسندت ظهرها على الحائط علها تستطيع التقاط أنفاسها ماالذي كان يحدث لها ؟ وما الذي كان يحدث لهما ؟

شعرت وكأنهما كان يعيدان تمثيل مشهد ما حدث في الماضي في مكان وزمان ما حتى الطعام الذي تناولاه والمواضيع التي تحدثا فيها . كلها كانت مألوفة لديها .... هذا مستحيل .

ولكن ماهذا الذي كانت تفكر فيه فحتى الأشخاص الذين لم يفقدوا ذاكرتهم من قبل يشعرون بهذا الإحساس ..وما الغرابة في ذلك ؟

تابعت طريقها إلى المطبخ .. فما هي بحاجة إليه في الوقت الحاضر هو الهدوء والحديث الطبيعي والعادي مع السيدة بينيت فتحت باب المطبخ لتفاجأ بآندرو يتناول طعامه . بادرها قائلاً :

– أهلا بالغريبة . تعالي و أنظري كيف يعيش النوع الآخر

من الناس .

تنفست فينيلا الصعداء ولكنها لم تستطع أن تظهر سرورها برؤيته وضعت الصحون وابتسمت للسيدة بينيت .

– لقد كان العشاء لذيذاً قضيت معظم الوقت أشفق على اؤلئك الذين لا يستطيعون تناول وجباتك .

– مثلي ؟ < سألها آندرو بحزن مصطنع > بينما يتناول الأسياد هذا الطعام اللذيذ أتناول أنا في المطبخ الحساء مع قطعة من الخبز .

– لا تكن سخيفاً آندرو . < أنبته خالته بشدة > الآن آنسة فينيلا . هناك الكيك والقهوة ... هل تستطيعين أخذهما إلى السيد روبرت .

– أو هل أكون أنا النادل لهذه الليلة ؟ < قاطعها آندرو > لقد عملت في أحدى المطاعم الفخمة وأستطيع أن أحمل الصحون على يدي وذراعي ... هل أريكما .... ؟

– لا تقلقي فالآنسة فينيلا يمكنها أن تتصرف بدون مساعدتك الآن ... أجلس وأكمل عشاءك ... لا تبالي به آنسة فينيلا . < نظرت السيدة بينيت بغضب إلى آندرو > ابتسمت فينيلا وهي ترفع الأطباق .

– هاي ... إلى إين ... لاتذهبي بهذه السرعة لقد أتيت خصيصاً لأراك .أين كنت خلال الأسبوع الماضي ؟ أعتقدت أننا أتفقنا على القيام بنزهة طويلة ؟

– أنا آسفة . لقد كنت مشغولة . ولكن أعتقد أنه مازال بإمكاني تخصيص يوم العطلة الأسبوعية . ربما يمكننا أن نذهب غداً إذا كان الجو مناسباً .

– بل سيكون ... سأرتب لهذا النزهة غداً صباحاً أو أنك تفضلين أن نخرج بعد الظهر .

ارتفع حاجباه من الدهشة عندما رأى ترددها

– ياللسماء يافتاة . هل يلزمك هذا التفكير الطويل . ماذلك السيد المستبد الذي تعملين لديه البرفسور ميلبورن؟

– إنه ليس مستبداً على الإطلاق < دافعت عنه بحماس > حسناً في الصباح ... سأقابلك عند البوابة .

– العاشرة والنصف < سارع إلى القول عندما رأها قد توقفت قليلاً > وإذا تأخرت سآتي إلى هنا وأخذك بالقوة لقد تم تحذيرك !!

– العاشرة والنصف < وافقت فينيلا > والآن علي أن أعود لابد وأن السيد ميلبورن يتساءل عن سبب تأخري . شكراً سيدة

بينيت تبدو تلك الكعكة لذيذة .

أثناء عودتها إلى غرفة الجلوس شعرت بغصة وثقل في قلبها . تساءلت هل ستستطيع التخلص من شعور التردد والانزعاج الذي كانت تعاني منه منذ قليل . توقفت قليلا عند الباب . استعادت ثقتها بنفسها ومن ثم دخلت والابتسامة مازالت على وجهها .

– يبدو أنك كنت تقضين وقتاً ممتعاً في المطبخ . هل الحديث مع السيدة بينيت سبب هذا ؟

– لا .. بالطبع لا < قالت فينيلا > لقد قابلت ابن أختها أندرو . وقد رتبنا لنزهة في الغد .

– نزهة ... على الأقدام . وإلى أين ؟

– نزهة عادية . هذا ما أعتقده على الأقدام لابد وأنها ستكون بالجوار < توقفت فجأة عضت شفتها > أنا آسفة لم أكن أفكر .. لم أقصد .

التفتت إلى الكعكة وقسمتها واضعة قطعتين منها في صحن روبرت

– نعم ... هذه الطريقة المثلى للنزهة < قال بهدوء > النزهة التي لا يمكنني القيام بها الآن < رفع نظرة إليها وعيناه تلمعان > ولكني سأتمكن من ذلك فينيلا سأتمكن قريباً .

حدقت فيه لفترة شعرت بتأنيب الضمير والتعاطف في آن واحد كم

أصبحت أنانية في الآونة الأخيرة هل يعقل أنها لا تفكر إلا في نفسها وفي مشاكلها ؟ هل يعقل أنها لا تستطيع أن تعطي أي مشاعر أو أحاسيس لأحد آخر للذين يعيشون معها ؟

على الرغم من ذلك . كانت عزة نفسه وشجاعته وثقته بنفسه هي التي جذبت انتباهها إليه في البداية . لقد كان يضرب الأرض بعصاه وهو يلعب متحركا من مكان إلى آخر بواسطة الكرسي المتحرك .

– نعم أعتقد أنك ستتمكن من ذلك < أنحنت قليلاً لتضع يدها على يده > لا ... لايمكن أن تفشل في ذلك . بل ستتمكن من السير مرة أخرى . وستقوم بكافة الأعمال التي تحب القيام بها . التسلق التزلج على الجليد . السباحة . كل الأشياء .

– كل الأشياء .. < ردد كلماتها ببطء . تركزت عيناه علي أصابع يدها المحكمة حول يده > أتساءل .. فينيلا هل سأستطيع يوماً؟ هل سأتمكن من القيام بكافة الأعمال التي أريد القيام بها والتي أحب القيام بها . الأشياء التي كنت أمارسها من قبل ؟

رفع رأسه فجأة والتقت عيونهما شعرت وكأنه استخلص من تلك النظرة جميع الأفكار التي كانت داخلها حتى تلك التي لم ترغب في الأفصاح عنها حتى لنفسها .

لدهشتها أبقت يدها بين يديه لفترة طويلة كانت خفقات قلبها تتسارع وتكاد تسبب لها الألم . شعرت وكأنه يوصل إليها رسالة من خلال هذا التقارب . انتابها الخوف وسارعت إلى سحب يدها بسرعة .

انقطعت الرسالة مباشرة . أخفض روبرت نظره وتابع تناول قطعة الحلوى .

– أنا آسف ... لقد أنتابتني الشفقة على نفسي .... إذن ستقضين يوم الغد مع الشاب آندرو . أليس كذلك .

للحظة شعرت فينيلا أنها لاتستطيع أن تتذكر الموضوع الذي كان يتحدثان به قبل اللحظة الحرجة التي مرت عليهما . إلا أنها وافقت على كلامه بإيماءة من رأسها ولكنها في حقيقة الأمر كانت قد فقدت كل رغبة بالخروج مع آندرو وبدأت تعتقد أنها ستكون أكثر سروراً فيما إذا قضت اليوم مع روبرت .

– نعم .... هذا إذا لم يكن لديك اعتراض .

القى إليها نظرة خاطفة ... لاحظت مدى التعب الذي يعانيه . ماالذي حدث للألفة بينهما ؟ فكرت بحزن . هل الالفة والتقارب مقدر لهما ألا يأتيا إلا للحظات خاطفة . هل قدر للألفة التي حدثت بينهما ألا تعيش . إلا أن هذا الشعور مازال يعيش داخلها وبقوة

تمنت لو أنها تستطيع إزالة كل الحواجز التي تفصلها عنه .

– لا ... < قال روبرت بصوت منخفض > ليس لدي أي اعتراض وكيف له أن يكون ؟ يمكنك الخروج مع آندرو بينيت إذا كانت لديك الرغبة في ذلك كما يمكنك قضاء الوقت الذي ترغبين به خارج المنزل . < أزاح صحنه > لا استطيع أن آكل أكثر من ذلك . قولي للسيدة بينيت إن الكعكة كانت لذيذة . ولكني أكلت كثيراً على العشاء . وأظن أنني لن أتناول القهوة هذا المساء . فقد طلبت من جون أن يأخذني إلى السرير .

قال كلماته تلك بحزن ويأس عارم وجعلت فينيلا تمتلىء حزناً عليه هل قدر لهذا الشخص المفعم بالحيوية أن يقضي وقته حبيس ذلك الكرسي المتحرك . وربما لما تبقى له من الحياة . هل قدر له أن يحرم من السير . في جلب كتاب إذا أراد أو من الذهاب إلى سريره بدون مساعدة أحد . إذن من الطبيعي أن تدخله الغيرة من وجود شاب مثل آندرو مليء بالمرح والنشاط والصحة آندرو الذي يستطيع الذهاب والإياب إذا أراد . إذن لاعجب من ردة فعله تلك التي أصابت أقرب الناس إليه وصدف أن تكون فينيلا .

" ليس هناك من دافع شخصي في كل ماحصل " هذا ماحاولت فينيلا أن تقنع به نفسها وهي تتمنى ليلة سعيدة لرئيسها في

العمل بينما يقوم جون بمساعدته للانتقال إلى غرفته .

تساءلت فينيلا إذا كان روبرت قد أعتبرها شخصاً له كيانه واحاسيسه في يوم من الأيام . ففي النهاية لم تكن إلا موظفة لديه.سكرتيرة أو مساعدة . وعندما ينهي كتابه ويستعيد القدرة على السير فلن تكون لفينيلا فائدة في حياته . ومن الطبيعي عندها أنها ستحاول البحث مرة أخرى عن وظيفة وستبدأ من جديد في بناء حياتها وبناء أصدقاء أو عائلة . اعترفت فينيلا بينها وبين نفسها أن التجربة الثانية لابد وأنها ستكون قاسية عليها خاصة وأنها بدأت تميل لروبرت وستفتقد دعمه لها وستشعر بالوحدة من جديد لفراقه.

– أعتقد أن هذا يكفي ... لقد عملنا بما فيه الكفاية اليوم .

قال روبرت هذه الكلمات بشكل جدي بعد عمل يوم كامل جمعت فينيلا أوراقها بتنهيدة خفيفة . فمنذ يوم السبت الماضي وهو يعاملها بجفاء وبرود ظاهرين . وكأنها لم تعد موظفة تعمل لديه . وعلى كل حال لم تشعر في يوم من الأيام أنها موظفة لديه فقد مرت لحظات أحست بقربها منه وكان لهما معاً لحظات حميمة عندما استرجعتها في ذاكرتها أنتاب قلبها وحدة باردة امتدت إلى سائر جسمها

لم تكن قد رأته ذلك الصباح الذي خرجت به مع آندرو .

رافقتها كلماته طوال اليوم حتى تلك اللحظات التى قضتها بين الحقول بصحبة آندرو وبصحبة نكاته التي هي جزءمن شخصيته ماالذي يحدث لها لماذا تشعر بالحياة تدب من حولاها عندما تكون مع روبرت ؟ ولماذا تشعر أن ليس للحياة معنى إذا ما غاب عنها ؟

لم تجرؤ على مقابلته بعد عودتها في المساء إلى البيت شعرت بالخوف من لقائه ومن لقاء تلك العينين الرماديتين . ولكنها لم تجده في أي مكان . أخذت حماماً سريعاً ونزلت إلى غرفة الطعام لكنها فوجئت بروبرت وقد أمضى اليوم في غرفته وتناول عشاءه وحيداً وأوي إلى فراشه باكرا . شعرت ذلك المساء بالهزيمة والراحة في آن معاً وكانت ليلة لانهاية لها .

الآن ، وفي نهاية العمل أحست بأنها بالفعل تقوم بدور الموظفة وبدون أدنى فرصة أو بادرة لتطوير هذه العلاقة بينها وبين روبرت . فطول اليوم دأب على معاملتها بأدب بالغ . وطوال اليوم شعرت بكتلة ضخمة تنم وتجثم فوق صدرها وليس هناك من شيء يمكنها أن تفعله أو تقوله .

– في الواقع .. ليس لدي مانع من العمل لفترة أخرى < تقدمت إليه بذلك العرض > فلم تبلغ الساعة الخامسة بعد .

– قلت إن ذلك يكفي < كان هناك غضب ظاهر في صوته > أجمعي أوراقك فينيلا . فلقد اكتفيت وأن لم تكوني قد اكتفيت بعد.

في الحال بدأت آلة الكتابة . أما روبرت فقد اتجه بكرسيه المتحرك إلى النافذة المفتوحة واتجه بنظرة إلى الخارج حيث الحديقة والغابة من خلفها .

نظرت إليه فينيلا لفترة . وهي على معرفة تامة بعدم تمكنه من رؤيتها خطت خطوة باتجاهه . فقد امتلأ قلبها فجأة بالعاطفة . في تلك اللحظة عرفت ماهية العاطفة التي كانت تجتاحها . وأدركت لماذا كانت تشعر بالحزن لمجرد التفكير بالابتعاد عنه . لماذا لم تتمتع بيومها بصحبة آندرو ؟ لماذا غداً روبرت مهماً في حياتها ؟ بل غداً محور حياتها ؟

انفرجت شفتاها لتنطق وبدون صوت باسمه مراراً بينما هي تفعل ذلك استدار روبرت فجأة بكرسيه ورأها كانت هناك لحظة من الصمت المربك .

– فينيلا ... كان تنفسه ثقيلاً فجأة نهض من كرسيه .

لم يكن سهلاً بعد ذلك تذكر ماحدث . والذي بقي حياً في ذاكرة فينيلا كان التعبير الذي ظهر على وجه روبرت وهو يحدق فيها ومن ثم انتباه المفاجيء لوقفته على قدميه واحتوائها .

كانا يتنفسان بصعوبة ويضحكان في آن واحد .

– علينا أن نستدعي الطبيب حالاً < قالت له وهي تركع إلى جانبه > وضعت أصابعها علي رسغه لمعرفة دقات نبضه .

– سام نعم سام ... سأحاول الأتصال به . لابد وأنه مايزال في المستشفى . أو هل أستدعي الطبيب المحلي ؟

– ليس هناك من حاجة للاتصال بأحد .... ألا ترين معي فينيلا أنني كدت أقف على قدمي وهذا يعني أنني تحسنت ولهذا أظن أنه لاداعى للطبيب ... بحق السماء فينيلا لقد تحسنت حالتي.

– بل على العكس في هذه الحالة علينا أن نستدعي الطبيب ليطمئنا سأتصل بسام . أبق هنا أرجوك ..

ما أن انتهت من كلماتها تلك حتى اتجهت إلى خارج الغرفة . ولكنها نبهته قبل الخروج بعدم المحاولة مرة أخرى . لاحظت أنها لم تتكلم من الغرفة التي كان فيها روبرت . وعلى كل حال لم تكن لتتمكن مع قول كلمة واحدة في وجوده .

عندما جلست تنتظر سام ليرد عليها . أخذت تتنفس بعمق لكي تنظم دقات قلبها وبدأت تسترجع تلك اللحظات الرائعة .

ماالذي جعل روبرت يرفع نفسه عن الكرسى بهذه الطريقة ؟ هل

لأنه عندما استدار لاحظ ذلك التعبير الذي كان مرتسماً على وجه فينيلا ؟ هل لأنه رأى كما كان معتاداً أن يرى ما هو أعمق من ذلك التعبير . هل غاص في أعماقها وعرف ما كان يعتمل في قلبها ؟ هل يبادلها نفس الشعور لدرجة أنه لم يلاحظ عدم مقدرته علي السير وهم بلقائها ؟

هزت رأسها . هذا مستحيل يجب عليها ألا تفكر بتلك الطريقة . عليها أن تنسى تلك النظرة التي كانت في عينيه عندما استدار إليها . عليها أن تنسى العاطفة الكامنة في قلبها والتي خانتها وظهرت له . فتلك العاطفة لن تجلب لها إلا المصاعب والهموم . وهذا مالم يكن ينقصها أبداً .

إذن ... انها تحب روبرت ميلبورن . وهذا هو سبب تلك الألفة التي تشعر بها نحوه . إنها تلك الحاسة التي تتولد بين المحبين . ولكن حبها مقدر له أن ينتهي قبل أن يبدأ . فروبرت لا يشعر بشيء نحوها .. لاشيء ماعدا الشفقة .

عليها أن تنسى نظرته وركضتها باتجاهه . وطريقة ضمها إليه بين ذراعيه والقبلة التي تبادلاها .

نعم ... إن هذه الأحاسيس ليس لها أي معنى بالنسبة لروبرت بل هي لحظات مشتركة تولدت من لحظات الانفعال .

أعادها رنين الهاتف إلى الواقع بشدة استجمعت أفكارها وكلمته .

– سام ... ؟ هل هذا أنت ؟ أنا فينيلا . لدي خبر سار لك .

الفصل الخامس

– مدهش ؟ قال سام وهو يدخل غرفة الطعام مع روبرت ؟ حقيقة مدهش

– إذن . أنت تصدقيني ؟ ؟ سأله روبرت واستدار إلى فينيلا وجون ؟ إنه يصدقني .

– آه ... هذا رائع .

قالت فينيلا وهي تبتسم إلى جون .

– تهاني سيد ميلبورن .. الآن علي أن أبحث لنفسي عن وظيفة أخري .

– ليس بهذه السرعة ؟ قال سام وهو يجلس واضعاً الفوطة تحت ذقنه استعداداً للطعام ؟ فكل مانحن متأكدون منه هو وجود بعض الإحساس في قدميه . ربما لن يحصل تطور آخر غير هذا ولاتنسوا أن هذا ليس مجالي على الرغم من أنني متأكد مما سيقول المختص كما أنك لن تتمكن من السير مباشرة وممارسة التزلج على الجليد . ربما لن نستطيع أبداً . فلا تعتمد على بناء قصور في الهواء .

– ألا أبني القصور؟ بدا جاداً وهو يتحرك في كرسيه ؟

بل قررت ... قررت بأن أمشي مرة أخري . وأن أمارس التزلج على الجليد وكل شيء . وهذه البداية فقط .

نظرت فينيلا إليه . شعرت بقشعريرة في عمودها الفقري . كان هناك تصميم ظهر على فكه وفمه جعلها تتأكد من تنفيذه لكل كلمة يقولها . إذا كانت قوة الكلمة تأتى بنتيجة فلابد لروبرت أن يقف على قدميه ويقوم بكل ما كان يفعله من قبل .

كان هناك شيء آخر غير التصميم . كان هناك شيء خاص موجه إليها .. وكأن مستقبله يعنيها هي أيضاً ومرتبط بمستقبلها .

– بغض النظر عما سيحدث .. أنا متأكد أنه سيأخذ وقته وببطء . < قال سام > عليك أن تكون صبوراً روبرت ولا تحاول القيام بأكثر مما أنت قادر عليه والا فستخسر كل ما توصلت إليه من تقدم ... إذن لا أود أن أسمع أنك حاولت الوقوف على قدميك مرة أخرى . وقبل أن تكون مستعداً لذلك .. هل هذا واضح ؟

– لا .... أيها الطبيب .

رمقه الطبيب بنظرة حادة إلا أنه لم يعقب فقد كان يعرف مدى إصرار روبرت وعنده إذا ما قرر شيئاً .

– ما لنا وهذا الحديث . دعونا نركز انتباهنا إلى ما هو أفضل فالسبب الحقيقي لمجيء إلى هنا هو وجبات السيدة بينيت

اللذيذة . ماعدا ذلك ليس هناك من شيء يثير اهتمامي هذا إذا استثنينا وجود الآنسة فينيلا اللطيف في هذا البيت . ولكني أتساءل كيف تقضي أوقاتها في هذا البيت .

– الآنسة فينيلا ... لقد اعتادت على المكان تماماً . فقد اصبح لديها صديق في البلدة . أليس كذلك فينيلا ؟ إنه ابن أخت السيدة بينيت ؟

تصاعد الدم إلى وجنتي فينيلا . نظرت إلى صحنها . فقد خرجت العديد من المرات مع آندرو زارت جميع الأماكن وعلى الرغم من أن روبرت لم يعترض على خروجها معه إلا أنها بينها وبين نفسها كان لديها شعور أكيد بعدم موافقته على تلك الصداقة . علي الرغم من أنها لم تستطع أن تفهم دافعه ذلك . ذلك الأعتراض دفعها إلى قبول دعوة آندرو المتكررة لها للخروج .

كما أنها كانت قد أخبرت آندرو عن فقدانها لذاكرتها خلال النزهة الأولى وأبدى تفهماً ومحبة لها .

– ولكن هذا لا يجعلك أقل من غيرك وليس هناك من داع للخجل كما أنني أظن أنك محظوظة . فلو أنك امرأة حسنة لكنت فقدت خمسين أو ستين عاماً من حياتك ولكن في وضعك أنت فمازال العمر أمامك لتبدأي من جديد .

– أعتقد أنك محق < ابتسمت فجأة وبعد أن استوعبت فكرته> شكراً لك آندرو . لم أفكر في مشكلتي من قبل من هذا الاتجاه .

بعد فترة وعند رجوعها إلى البيت أسمعها روبرت احدى ملاحظاته اللاذعة حول آندرو ، ولكنها دافعت عنه بقوة عندما تذكرت محادثتها أثناء النزهة .

– إنه يعجبني وأنا أشعر بالراحة معه . ففقداني للذاكرة لايعد مشكلة . هذا ما أقنعني به .

– وأنا أقنعك بالعكس أليس كذلك ؟

كانت في كلماته نبرة من الحزن . جعلتها تنظر إليه بتأنيب من الضمير.

– لا .... بالطبع لا أقصد ذلك . فقط أردت أن أخبرك أن آندرو هو الإنسان الوحيد من خارج المستشفى الذي يعرف مشكلتي ولم يهول الموضوع . لم يسألني أية أسئلة ولم يحاول جعلي أتذكر أنه يطلب مني الاسترخاء وأخذ الأمور ببساطة .

– أنا آسف .... آسف لأنك لاتستطيعين الاسترخاء من خلال وجودك معي .

قبل أن تستطيع فينيلا التعقيب علي كلماته تلك أو الاعتراض

عليها استدار بكرسيه وابتعد عنها .

عند المساء قدم الدكتور سام لزيارة روبرت وأخذوا يتداولون الكثير من المواضيع الى أن قدمت السيدة بينيت سلطة الفواكة التي ساهمت فينيلا في إعدادها .

– إذن ماذا قررتم أن تفعلوا خلال العطلة ؟ < سألة روبرت > ربما تأخذك فينيلا في نزهة فكما تعلم أصبحت فينيلا ضليعة في هذا الأمر .

عادت السخرية إلى لهجته

– فكرة جيدة . < تحمس سام للفكرة > وخيراً عملت أن خرجت مع أصدقاء . أو أنك كنت تريدها أن تبقي سجينة البيت أو رهن إشارتك أعلم أنك أكاديمى ويهمك أن تتابع دراساتك وبحوثك طوال النهار والليل وتتوقع من الجميع أن يفعل مثلك . عليك ألا تجهد فينيلا كثيراً وإلا ماكنت جمعتكما معاً إذا كنت أعرف ماذا سيكون من أمركما .

رمقه روبرت بنظرة ذات مغزي لم تستطع فينيلا أن تتبينه . إلا أنها شعرت أن هناك ما يخططان من أجله أو أن هناك سراً يخفيانه عنها .

دخلت السيدة بينيت القهوة . نهضت فينيلا بسرعة لمساعدتها في

أخذ الصحون إلى المطبخ . ولكنها قالت لهما .

– بما أن آندرو ليس بالبلدة فقد ذهب في زيارة إلى أهله فإنني أستطيع أن أصحب سام إلى أي مكان يريده غداً فهناك الكثير من المناطق الجميلة .

– نعم < قال روبرت > الكثير من المناطق الجميلة .

خلال الأيام الخمسة الأولى التي تلت زيارة سام تحدث روبرت كثيراً عن احتمالات الشفاء وعزمه علي تحقيق ذلك فقد طلب من جون أن يكثف المعالجة الفيزيائية إلي أن اعترض أخيراً .

– ولكن هذا لن يفيدك . بل على العكس . إنك تريد أن تسبق الزمن .. أنت تعرف بما أوصاك الطبيب . دع الأمور تأخذ مجراها الطبيعي . أليس كذلك من المحتمل أن تتمكن الليلة من السير .

– لا .... لن يحدث هذا بدون تمرين .

كان روبرت قد حاول الوقوف وذلك من خلال التمارين المكثفة ولكن لم يكن لقدميه أية بادرة إحساس أو حياة .

– هل أستطيع مساعدتك . فبإمكان جون أن يعلمني التدليك كي أنني أستطيع أن أساعدك بالتمارين الرياضية .

أحمر وجه روبرت فجأة .

– بحق السماء فينيلا . ألا ترين الحالة التي أنا فيها .... لا أظن أنه ينقصنى أن أكون معرضاً لأحد . أو أنك تتمتعين بمشاهدة عجزي وعدم قدرتي على فعل أي شيء .

تحرك بعصبية واجتاز الغرفة على كرسيه المتحرك وتساءلت فينيلا ماذا كان فعل لو أن قدميه كانتا تساعدانه علي السير .

عضت فينيلا شفتها .. لقد احبطت عصبية روبرت من عزيمتها وألمت قلبها . لأنها كانت مدركة تماما للحالة التي كان يمر بها . خاصة وأنه كان من الرجال النشيطين والملئين بالحيوية . ومايزال على الرغم من عجزه عن الحركة بعد الحادثة . انتبهت فجأة إلى حقيقة كانت غائبة عنها وهي عدم معرفتها وجهلها التام بالحادثة التي تسببت في مرضه .

ظهرت خيبة أمله مرة أخرى أثناء عملهما في المساء من خلال مزاحه السيء أما فينيلا فقد حاولت أن تكون متفهمه إلا أن أوامره لها أصبحت لاتطاق .

– لن أكون إلا مقعداً ولا شيء آخر مهما حاولت . < قال لها وهما يعملان في ساعة متأخرة من الليل على الأقل ستكون لي بصمتى كمؤرخ يبدو لي أن ذلك كل ما أستطيع أن أفعله .

– أنا متأكدة أن ذلك ليس صحيحاً < عارضته بشدة > أنت

تعرف ماذا قال سام .. الشفاء سيأخذ بعض الوقت وما عليك إلا أن تكون صبوراً .

– صبوراً ... بينما حياتي تذهب هباءً وبينما يقوم الآخرون بكل ماأتمنى أن أقوم به . بينما تخرجين أنت مع الشاب أندرو إلى الحقول والروابي . كيف تطلبين مني أن أكون صبوراً بحق السماء؟ ضرب الكرسي براحة يده وتردد الصوت في أرجاء الغرفة .

– ياالهي لو أنه لديك أدنى فكرة عن .....

– أرجوك < رجته فينيلا > أنا أحاول أن أفهم كلنا نحاول ولكن....

–ولكن ... لا ..أنا أشفق على نفسي كفاية ولست بحاجة إلى من يشفق على هذا ماتعتقدينه أليس كذلك . ربما ذلك صحيح . ربما أصبحت أنانية أو صعب المزاج كالمسنين ربما سيكون من الأفضل لك أن تجدي لنفسك عملاً آخر .

حدقت فيه فينيلا لبرهة

– ولكني سعيدة هنا .. لم يخطر على بالي في يوم من الأيام أن أترك هذ المكان .

فاجأتها كلماتها له " سعيدة " هل تلك الكلمة هي الوصف الحقيقي لما تشعر به .

هل كلمة سعيدة يمكن أن تعبر عن الأحاسيس الغريبة التي تشعر بها نحو روبرت والتي تتزايد وتتعاظم يوما بعد يوم .

دقات قلبها عند رؤيتها لروبرت كل صباح . الطريقة التي تفكر فيها به عندما يكون غائباً عن ناظريها . سهرها الليالي وهي تفكر به وبتأثيره عليها .

هل كل ذلك يمكن أن يضاف إلى كلمة سعيدة فإذا كانت السعادة في الألم . فالإجابة نعم . ولكنها تعلم أن مغادرتها لذلك البيت يعني الألم الحقيقي .

مع تلك الأفكار جاءها السؤال التالي والملح . ماذا عن علاقاته الأخرى . إذا إنه لابد وأنه كانت له علاقات مع نساء أحبهن وأحببنه ؟ هل هناك واحدة الآن ؟ واحدة تنتظر شفاءه ؟ ربما تكون بعيدة وتنتظر الأذن لزيارته . أو ربما ترسل له الرسائل . تذكرت فينيلا تلك الرسائل التي كانت تأتيه من سويسرا والتي كان يضعها جانباً ليقرأها فيما بعد

– لم أفكر بمغادرة هذا المكان < كررت قولها بصوت منخفض >

– لا .. طبعاً لا .. خاصة وأنك حصلت على صديق شاب وجذاب ولكن ماذا سيحدث عندما سيغادر المنطقة ؟ ومابالك

لاتردين؟ هل ستقولين عندها إنه ليست لديك أية رغبة في مغادرة المكان؟ شعرت فينيلا بالدموع تملأ مقليتها . لقد زاد روربت من تعذيبه لها هذه المرة وكأنه كان يجد الراحة من خلال هذا التعذيب

– بالفعل سيذهب إلى لندن فقد وجد لنفسه عملاً هناك .

– حسناً ... أنا لست مهتماً بأخباره . أعتقد أنه طلب منك الذهاب معه ؟

اجتاح فينيلا الغضب

– لا أعتقد أن ذلك من اختصاصك .

– إذن علي أن أبحث عن سكرتيرة جديدة أليس كذلك ؟

حسناً

في حال طلب منك ذلك أو لم يطلب ولكني متأكدً أنه سيطلب ذلك هذا ماكنت فعلته لو أني مكانه < توقف لبرهة قصيرة وكأنه ندم على قول جملته الأخيرة > أقترح .... إذا ... أقترح إذا طلب منك ذلك أن توافقي فذلك أفضل من بقائك هنا معي وعلي كل حال لن يصعب عليك إيجاد عمل آخر .

حدقت فيه فينيلا غير مصدقة قائلة :

– هل تحاول أن تقول لي إنك أستغنيت عن خدماتي ؟

هل تطلب مني أن أذهب ؟

– أحاول أن أقول لك . أن تختاري ماهو أفضل لك . وأقول ماهو الأفضل لك . والأفضل لك ألا تمكثي هنا في الريف مع كاتب ذي مزاج سيء لما تبقى له من الحياة .

< اقترب منها بكرسيه قائلاً > هل تفهميني ؟

– أنا ... أنا لا أعرف . < تمتمت فينيلا >

كانت تجلس على كرسي أخفض مستوى من كرسيه المتحرك رفعت نظرها إليه وتصورت الصورة التي كان سيكون عليها لو استطاع أن يقف على قدميه . وماذا سيحدث لو أنها اقتربت منه واحاطها بذراعيه القويتين ولو أنها وضعت وجهها على صدره العريض .

نظر إليها روبرت لفترة طويلة مد يده إليها ولمسها بطرف أصابعه.

كان مايزال ينظر إلى عينيها بينما شعرت فينيلا بألم في معدتها لم تحس بنفسها ماذا كانت تفعل أو كيف كانت تبدو .

– فينيلا ....

ردد أسمها هامساً وقربها منه ولم تعارض بل تعلقت به بقوة إلا أنها انتبهت إلى ماهي عليه عندما تخللت أصابعه شعرها جمدت في مكانها تحدق فيه

– ماالأمر ؟

– لاأدري < همست > ينتابني شعور غريب .. لاأستطيع

وصفه كأنني ... كأنني < هزت رأسها > ولكن .. لاشيء لاشيء .
أنا آسفه .

– لا .... أنا الذي يجب أن يتأسف ما كان يجب أن أفعل ما فعلت < أبعدها عنه بنعومة > لقد كنت محقاً بما قلته لك قبلاً . من الأفضل أن تذهبي مع صديقك . صديقك الذي يستطيع أن يقدم لك أشياء لا أستطيع أن أقدمها لك ... ليس لدي ما أقدمه لك .

حدقت فيه فينيلا ... شعرت بالألم يعتصر قلبها .

– روبرت ....

– لا تقولي أي شيء < قال بقسوة > لاتقولي أي شيء وذلك لكي لاتندمي فيما بعد .

– أندم ..... ولكن لماذا ؟

– لماذا تندمي ؟ أرجوك فينيلا لا تكوني بريئة أكثر مما أنت عليه أن تبقي أمرأة شابة مثلك إلى جانبي أمرأة الحياة كلها أمامها .

بحركة سريعة من يده حرك الكرسي بعيداً عنها .. تابع .

– هل تظنين أنني أحب أن أكون في هذا الوضع ... أتصرف معك كما تصرفتي منذ قليل ؟ من المحتمل أن أعود إليه .

وذلك إذا مكثت إلى جانبي أكثر من ذلك . < استدار إليها . والصداع ظاهر على وجهه ، أتركي لي بعض الاحترام لنفسي . على الأقل لكي لا أتصرف كما فعلت منذ قليل .

رفعت فينيلا يدها إلا إنها أنزلتها . لم تكن قد شاهدته هكذا من قبل .

– روبرت يجب ألا .....

– يجب ماذا ... ؟ لعن بصوت منخفض

– يجب ألا تعذب نفسك < همست > فهذا لن يفيد في شيء بل سيزيد الأمر سوءاً . ويتسبب في عذابي أيضاً . لأنني أرى عذابك وأشعر بتعاستك .

– هل هذ اصحيح ؟ ... هل تشعرين بذلك وأنت تخرجين للنزهة مع آندرو بين الحقول والروابي ؟ هل تفكرين بأنني أقبع أسير هذا الكرسي ؟ ولكن ماالفائدة < ابتعد عن فينيلا والتي شعرت بحزنه من خلال صوته > في الواقع يجب أن أعتاد على هذا الوضع وأكف عن المجادلة . لاقضي بقية عمري أسير هذا الكرسي . يبدو أن الطبيب على حق ... والآن حان وقت النوم ..... استدعي لي جون إذا سمحت ... فكما ترين وضعي أسوأمن وضع الطفل . على الأقل هذا الطفل سيكبر ويتعلم كيف يأوي إلى

فراشه لوحده .

حدقت فيه فينيلا ... شعرت أن شيئاً مافي داخلها يتحطم ... لقد تحملت الكثير خلال الأيام أو الأسابيع الماضية إلا أنها لم تعد تستطيع أن تتحمل أكثر من ذلك . نهضت محدقة فيه كانت عواطفها ظاهرة جلية قالت له :

– ها أنت تعود من جديد ... تعود لرثاء نفسك . هل تدري ، لقد سئمت من كل هذا . كل إنسان سيسأم ولا شك . ففي النهاية لا أنكر أن مصيبتك كبيرة ولكنك الوحيد في العالم الذي يتعذب ولن تكون الأخير . ألاتنظر حولك . ألا تراني ألا تدري أنني لاأدري أي شيء عن نفسي ؟ لقد أضعت ستة وعشرين عاماً من حياتي ولايبدو أن هناك في أمل لاسترجاعها . وماذا عن السيدة بينيت ؟ لقد راقبت زوجها يموت أمامها . كان مرضاً ميؤساً من شفائه . ألا تعتقد أن ذلك مصيبة أيضاً ؟ لقد فقد زوجته . هل تعتقد أن أحزانه أقل من أحزانك هل لأنه بستاني ولا يملك الأموال وليس متعلماً لايحق له الشكوي .الألم جزء من الحياة . وما يحدث لك أو لي ماهي إلا أمور من الحياة أيضاً . علينا أن نقبل بها > توقفت عن التكلم مستغربة من كلماتها . كان روبرت يراقبها . وشعور بالفضول واضحاً على وجهه > حسناً هذا ماأردت أن أقول

. والآن سأذهب إلى فراشي . وسأرسل إليك جون . وإذا أردت أن تعرف رأيي في هذا

– أعتقد أنني سأسمع ذلك على أي حال .

– حسناً .... أنا أعتقد أنك ظالم . تظلم جون بسهرك لوقت متأخر من الليل . فعليه أن يسهر بانتظار أوامرك . أظن أن عليك أن تفكر فيه قليلاً . فلن يضيرك أن تفكر بالآخرين . ولو لمرة واحدة . ربما تجد في ذلك العزاء .

توقفت فجأة مدركة أنها ترتجف بقوة استدارت تبحث عن حقيبتها مد روبرت إليها يده ولكنها تجاهلتها . كان لديها الكثير لتقول ولكن كانت قد تعبت ولم يكن لدى روبرت المقدرة على سماع المزيد . نظرت إليه وتذكرت القبلة التي تبادلتها معه والعاطفة التي شعرت بها نحوه في تلك اللحظة . شعرت بالدموع تتصاعد إلى عينيها لو أنه >

– أنا آسفة .... ماكان يجب أن أتكلم معك بهذه الطريقة . سأذهب إلى فراشي وسأرسل إليك جون .

استدارت على عقبيها وتركت الغرفة . وبدون أن تلقى نظرة أخرى على الرجل القابع على الكرسي بدون حراك .

في غرفتها ، جلست على سريرها لفترة طويلة في محاولة للسيطرة

على جسمها المرتعش والدموع الحارقة التي كانت تملأ ؟ مقليتها كانت ماتزال تشعر بقبلته . كانت ماتزال تتذكر نظرته التي أحرقتها وهي تحدق بها منذ قليل . تاقت إلى العودة إليه لضمه بين ذراعيها .

أخيراً نهضت وبدأت تعد نفسها للنوم . قضت ليلة طويلة غير مريحة وقلقة قضتها في التقلب على الجنبين .

خلال الأيام القليلة التي تلت الحادثة . عمل روبرت وفينيلا بشكل جدي ورسمي . كانت بين الحين والآخر تختلس إليه النظر في محاولة لقول أي شيء خارج نطاق العمل . ولكنها كانت دائماً توقفها برودة عينيه الرماديتين .

حاولت في اليوم التالي للحادثة أن تعتذر منه . ولكن روبرت استمع إليها صامتاً ومن ثم أحنى رأسه والتقط بعض الأوراق قائلاً :

– لابأس فينيلا . كنا كلانا متعبين قلنا أشياء لم نقصدها وفعلنا أشياء لم نكن نقصدها أيضاً . وكنت محقة في تذكري بواجباتي اتجاه الموظفين الذين يعملون لدي فلم يكن من العدل أن أبقي جون أو أبقيك لساعة متأخرة من الليل .

عضت فينيلا على شفتها ... لقد كان محقاً . فهي ليست إلا موظفة لديه .

– كنت أريد أن أقول ....

بدأت حديثها ولكنه قاطعها بأدب بالغ .

– اعتقد أنك قلت كل ما هو ضروري . والآن إذا لم يكن لديك مانع . ‹ أشار إلى العمل أمامه ›

نظرت فينيلا إلي دفتر ملاحظاتها . فجأة كست الحمرة وجنتيها . ربما سيزول ذلك الجفاف بعد انتهاء يوم الأعمال وتناولهما لوجبة العشاء معاً . أو عندما يستمعان إلى الموسيقي تلك الموسيقى التي اكتشفا أنهما يستمتعان بها أو أثناء القراءة على الضوء الخافت في المساء .

دهشت عندما بدأت تفكر هكذا . ودهشت أكثر عندما تبين لها كم من الأشياء يشتركان بها . ويقومان بها معاً بنفس المتعة والحب لم يتناقشا قط كيف سيمضيان أمسيتهما . كانا وبالفطرة يعرف الواحد ما يهم الآخر وما يمتعه وكأنهما يعرفان بعضهما منذ مدة طويلة أنتابها الحزن عندما فكرت بالأشياء الأخرى التي يمكن أن تحب أن يشاركها بها روبرت . ولكن بدون الكرسي المتحرك .

السير مثلاً كما كانت تفعل مع أندرو والسباحة ، والتنس ، أو التزلج على الجليد تلك الرياضة التي يعشقها روبرت على الرغم من أنها لم تحاول أن تلعبها قط .

تساءلت كيف لها أن تعرف أنها لم تلعبها ؟

ولكنها تحب مشاهدة برامج التليفزيون .

إلا أنها أخطأت في تصوراتها . فروبرت لم يحاول إزالة الجفاء الذي كان قائماً بينهما بل على العكس . كانت برودة معاملته لها تملأ الجو صقيعاً . كان ينسحب مباشرة بعد العشاء . أو يعود إلى مكتبه مبيناً لها عدم رغبته في صحبتها . أما فينيلا فقد كانت تقضي الوقت في الأستماع إلى الموسيقى ولكن بدون الإحساس بها أو قراءة كتاب بدون أن تفهم أي حرف أو تمضي وقتها محدقة في أشجار وأزهار الحديقة .

عند نهاية الأسبوع أنهى روبرت الصفحة التي كان يعمل بها ورفع نظره إلي فينيلا قائلاً :

– هل تدركين أننا قاربنا على الانتهاء من الكتاب ؟

– هل .. هل هذا صحيح ؟ ولكن أعتقدت ....

– أعتقدت أنني كنت سأطلب منك الذهاب إلى لندن أو حتى باريس من أجل الحصول على بعض المراجع ؟ حسناً .. هذا ليس ضرورياً . < كانت عيناه باردتين . ساخرتين > أسف لهذا وفي النهاية أعتقد أن هذا العمل أصبح مملاً بالنسبة لك .

– أنا لم أقل ذلك . < اعترضت بسرعة > ولم يكن العمل

مملاً على الاطلاق . بل كان ممتعاً < تردت قليلاً ومن ثم قالت > أعتقد أنك ستبدأ التفكير في كتاب جديد الآن .

– ربما .... ولكن لا تقلقي لن أبدأ إلا بعد فترة ليست بالقليلة .

– < حدقت فيه فينيلا > ولكن ...

– آه ..... لاتقلقي سأقوم بما يلزم من جهتك .

– روبرت .....أرجوك أنت تعرف أنني .....

– لا .... لا تقولي أي شيء . إنه العمل الذي بين يديك وأذهبي للبحث عن أندرو وأقضي أمسيتك معه .

أنا أقصد ما أقول . فأنا لا أود أن أراك هنا هذا المساء لقد تعبت اليوم بما فيه الكفاية .

فتحت فينيلا فمها لتعترض إلا أنها عادت وأغلقته . « حسناً ... إذا كان هذا ماتريده ... لقد حاولت كثيراً والله يعلم . ولكن إذا قررت أن تستمر في عنادك فلا يمكن أن نكون حتي أصدقاء »

فكرت فينيلا أخيراً

بحركة بطيئة . جمعت فينيلا أوراقها وضعتها في مصنف جمعت أقلامها ونهضت .

– في هذه الحالة < انتبهت إلى أن صوتها كان بارداً

كصوته› أعتقد أنني سأخرج حالاً . بالفعل لا يوجد ما أستطيع القيام به لهذا المساء . لابد وأنك ستعطيني المسودة النهائية لأقوم بإعدادها للطباعة .وإذا كنت متأكداً من عدم حاجتك لي فسأعمل بنصيحتك وسأتصل بآندرو . هناك حفلة راقصة الليلة في البلدة . في الواقع لقد طلب مني مرافقته إلا أنني كنت قد أعتذرت معتقدة أنني سأكون مشغولة ‹ نظرت إليه علها تكتشف إحساساً ما على وجهه . تابعت › أعتقد أنني سأتأخر في العودة .

استدار لتخرج بدون أن تضيف أو تنتظر أية إجابة عندالباب . توقفت قليلاً . كان قلبها يتألم . كانت تود لو تعود إليه . وتركع إلي جانبه وتمسك يديه وتضمها إلى صدرها . كان تود لو تقول له أنها تحبه .

ولكنها لم تستطيع القيام بأي شيء . بإيماءة من رأسها غادرت الغرفة .

لم يظهر روبرت في الصباح التالي . وبينما تقوم بعملها المعتاد أتتها السيدة بينيت بفنجان من القهوة وسلمتها رسالة . نظرت إليها بدهشة .

– إنها من البروفسور ‹ أوضحت لها السيدة بينيت › طلب مني أن أسلمك إياها مع القهوة . لقد ذهب لبعض الوقت .

– ذهب ؟ ‹ رددت فينيلا › ولكن كيف ؟ ومتى ؟ ولكن لم يذكر أي شيء الليلة الماضية .

– لقد استدعني جون في الصباح الباكر وقد خرج قبل الثامنة بهدوء ‹ بدت السيدة بينيت مرتبكة › كان مزاجه هادئا ومازحاً لم أره على تلك الحالة من قبل .

بحركة آلية بدأت فينيلا بعض الرسالة . في الداخل وجدت رسالة قصيرة وشيكا مصرفياً . نظرت إليه بألم ... هل هذا يعني أنه يحاول أن يجزم لها العطاء لما قدمته من خدمات هذا كرم منه ولكن لماذا ؟ ماذا فعلت ‹ ماهو قصده في ذلك بحق السماء ؟

– يقول إنه ذاهب إلى الخارج للعلاج ... إلى سويسرا . سيغيب لثلاثة أشهر . ولكن ماهذا ... أنا لاأفهم لم لم يذكر أي شيء البارحة .

– لم يقل لي أي شيء أيضاً ... طلب مني أن أرسل له حاجياته الآخري عندما يرسل لي عنوانه ... أنا آسفة ياآنسة لم تكن أمامي من طريقة غير تلك لإعلامك .

– لا ... هذا لايهم .

نظرت إلى الرسالة .. كانت رسالة مختصرة . كان يخاطبها فيها بنفس اللهجة التي تعود أن يخاطبها بها في الفترة الأخيرة .

لقد حاول الليلة الماضية أن يفهمها أنه ليس بحاجة إلى خدماتها ولكنها لم تفهم .. أزاحت فينيلا رأسها على راحة يدها لابد وأنه كان يخطط لذلك منذ مدة ربما أيام أو أسابيع .

تذكرت الرسائل التي كانت تأتى من سويسرا .. هل كانت خاصة بتلك العيادة ؟ هل كان يتصل بالأطباء لبحث حالته بدون أن يخبرها أو يخبر جون أو الطبيب سام بأي شيء

ألم يفكر فيها ولو قليلاً ... ألم يفكر بالبحث الذي كان ينمو داخلها بالحب الذي عاشاه . فى حياة أخري . هل شعر بحبها أو أن هذا الحب الذي تخيلت أنه يبادلها به كان من محض خيالها وتصورها .

نفضت تلك الفكرة .... ففي الواقع فينيلا لاتعني أي شيء له حتى إنه لم يخبرها بموضوع علاجه في الخارج لأن ذلك ليس من شأنها . فبعد أن أنتهي الكتاب من الطبيعي أن يطلب منها مغادرة المكان . والبدء في حياة جديدة . وهذا ما أكدت أنها تستطيع القيام به في الماضية < حاولت السيطرة على نفسها > من الأفضل ان أنهى عملي هذا .... < أرتجفت من الانفعال > سوف أفتقدكم كثيراً .

فكرت أنها لن تعود إلى هذا المكان لن تري مرة أخرى حقول وروابي هذه البلدة . فخلال الفترة القصيرة الماضية تعودت على

المكان وتعلقت به بحب وتعاطف .

وأيضاً تعلقت .... نعم تعلقت وأحبت روبرت ميلبورن .

لقد أحبته وأحبت بيته . أرادت أن تبقى بجانبه . ولكنه تركها بدون كلمة وداع .

– سيؤسفنا ذهابك < أجابتها السيدة بينيت > كان من دواعي سرورنا أن تمكثي بيننا خلال الفترة الماضية . فأنا وروبرت نعتقد أنك أسديت للبروفسور معروفاً كبيراً فالبروفسور رجل حساس ويتعذب كثيراً . ويحتاج إلى من يخرجه من دائرة عذابه ويساعده على التمتع بحياته . وأنت تستطيعين ذلك . ولن يكلفك كثيراً . كنت أشعر بذلك بمجرد دخولك إلى الغرفة التي كان يجلس فيها .

– هل تظنين ذلك حقيقة ؟ كنت أعتقد في وقت من الأوقات أنني أسبب له بعض الأزعاج حتي انني أزعجته بكلماتى وواجهته بحقيقة تفكيري حول تصرفاته وشفقته على نفسه . كما قلت لك سأنهي عملي وأنصرف .

– لا أنسة فينيلا . فالسيد روبرت لم يقل أن تغادري في الحال . ولايتوقع ذلك . خذي وقتك وحيث انه ليس هنا فلا أرى ضرورة للإسراع .

ابتسمت فينيلا وشكرتها . ولكن عينيها كانتا مليئتين بالقلق والتفكير وهي تراقب السيدة بينيت تغادر الغرفة .

صحيح ليس هناك من داع للعجلة . فروبرت ليس هنا ولكن لم البقاء وهو ليس هنا ؟ ولماذا تبقي ؟

جلست فينيلا وشرعت تشرب القهوة . شكرت ربها لأنها كانت محظوظة بالفرصة التي قدمها لها روبرت للخروج إلي العالم الخارجي وبالتدريج ، لقد عاشت وعملت في مكان جميل . عملت في العمل الذي تحبه وتتمتع به ومع رجل أعجبت به وفتنت به على الرغم من مزاجه الصعب . كونت صداقة جيدة مع أندرو جمعت بعض النقود وأصبح بإمكانها العودة إلى شقة لندن للبحث عن وظيفة أخرى .

" نعم لقد كانت محظوظة . حقاً محظوظة "

ولكن الآن لم يبق أمامها من شيء إلا العودة إلى لندن لتجمع شتات نفسها وتبدأ من جديد .

الفصل السادس

دخلت فينيلا إلى شقتها وهي تنظر حولها . لم تتغير كثيراً عن اليوم الذي جاءت فيه إليها مع الطبيب سام لتؤكد بعض الثياب . لن تقوم بأية تغييرات . ففينيلا تلك التي رتبت البيت وأتت بذلك الأساس لم تتذكرها بعد على الرغم من أنها لم تكن لتألف المكان بسرعة . كانت تتصور أنه بين اللحظة والأخري ستدخل عليها صاحبة الشقة الحقيقية . استقرت في الشقة وبدأت تعود نفسها على المكان .

لم يكن أمامها غير هذا . وعلى كل حال ليس هناك من بديل بتصميم أكيد . دخلت الشقة واتجهت إلى النافذة . سحبت الستائر ليدخل النور إلى المكان ولتطرد صورة بيت روبرت فذلك البيت لم يكن بيتها ولن يكون في يوم من الأيام . كان عليها ألا تفكر بذلك البيت أو حتى بصاحب البيت روبرت ميلبورن .

رفعت كتفيها يأساً وحزناً وجلست على كرسي محدقة في فراغ الغرفة . هل ستتحرر يوماً من هذا الهاجس ؟

لأن ما كانت تشعر به وتعيشه ما هو إلا هاجس يهيمن على عقلها وقلبها ولا يبدو أن شيئاً يمكن أن يسيطر عليه بعد شهرين تركها

لبيت روبرت وعودتها إلى شقة لندن كانت فينيلا قد وجدت أن السلام ماهو إلا مطلب محير ، وغير مستقر في البداية شعرت بالألم وبالحزن ، لم تكن تطلب إلا أن تكون لوحدها فقد قضت الليالى الطوال تزرف الدموع والأيام المملة تجلس أمام النافذة تنظر إلي الأطفال الذين يلعبون في الساحة ، كانت في بعض الأحيان تسترجع اللحظات والأيام الأولى التي قضتها في المستشفى في محاولة يائسة لتذكر أي شيء من حياتها قبل ولادتها الثانية ووحدتها وبالطبع تلك الأفكار جلبت إليها ذكرى روبرت ، ذكرني روبرت وهو يجلس على كرسيه المتحرك ، وهو يلعب بالكرة ، عيونه المشتعلة عاطفة والباردة كالجليد والتي كانت تجمد قلبها المستسلم .

وذكريات أخرى ، ودت ألا تأتي إليها أبداً ، ذراعان قويان أحتضنتهما بقوة في لحظة من اللحظات ، وبعدها لاشيء ستارة بيضاء تحتل ذاكرتها ، لم يكن لديها أي أمل في استرجاع أي شيء عن حياتها الماضية .

" لا يمكنني أن أستمر هكذا " فكرت فينيلا في صباح يوم من الأيام ، " سوف أجن إذا لم أقم بأي شيء " ، " سوف أستفيد من حياتي "

وذلك بالرجوع إلى الماضي ومحاولة التذكر ونسيان الفترة التي عرفت فيها روبرت ميلبورن .

وكأن القدر يساعدها وقعت عيناها على مقال في مجلة :

" تمرين مركز ، لاتكن يائساً ، أستفد من حياتك " هذا هو ... هذا هو ماتريده وماتحتاج إليه ، وهذا أنا بحاجة لأن أقوم به ، أبدأ من جديد وأستفيد من حياتي وبعدها سأكون قادرة على نسيان روبرت،

انتسبت مباشرة إلى ذلك المعهد ولتبدأ في الأسبوع التالي مباشرة بعد فترة كان بإمكان فينيلا معالجة الكثير من الظروف الصعبة ، وكيف تتعامل مع الناس كيف تعالج مشاكلها العاطفية تعلمت كيف تضحك للظروف القاهرية والصعبة وكيف تسيطر على مشاعرها بشتى أنواعها وكيف تحول خيبة الأمل إلى حاضر يؤدي للنجاح تعلمت كيف تصبح هادئة وإيجابية في أي ظرف ، كما تعلمت أيضاً كيف تتعامل مع نفسها في ظل فقدانها لذاكرتها وكيف تتأقلم مع هذا الواقع .

ولكنها لم تنسى ولم تتعلم كيف تنسى روبرت ميلبورن تمنت أن تصاب بفقدان الذاكرة للمرة الثانية فهذا هو الحل الوحيد لإبعادها عن ذكرياتها وحياتها .

مر الخريف وأقترب الشتاء بدأت ليالي تشرين تصبح أكثر برودة وظلمة . لم يكن ينير الشوارع إلا أضواء المحلات .

كانت فينيلا تسير في تلك الشوارع عائدة من عملها تسير في الزحام . تمنت لو أنها تتمتع بهدوء الريف اشتاقت لجو الهدوء الذي يسود الريف ولرائحة اوراق الشجر التي بللتها الأمطار .

كانت قد كونت صداقات جديدة في المكان الذي تعمل فيه . بدأت تخرج مع أصدقائها وتقضي العطل الأسبوعية في الريف . ففي بعض الأحيان تأخذ القطار من مدينة إلى أخري مع شلة من الأصدقاء لتعود بعد ذلك عن طريق الريف وتدعو أصدقاءها إلي شقتها لتناول العشاء وفي آخر الليل كانت تستلقي علي الأريكة تستمع إلى الموسيقي .

– لكنها لم تكن تستطيع إبعاد الوحدة عن حياتها فلا يلبث الأصدقاء أن يذهبوا وتبقى لوحدتها ولذكرى روبرت ميلبورن الذي يسيطر تماماً على ساحة تفكيرها واهتمامها .

لماذا يملك كل ذلك التأثير عليها لماذا مجرد ذكراه يبعث الألم في قلبها .

ولكنها لن تسمح لمثل هذه الأفكار أن تسيطر عليها فمن أساسيات الدورة التي خضعت لها أن تبعد هذه المواقف عن طريق العمل

والانشغال . نهضت واتجهت إلى النافذة . كانت ليلة جميلة . ومنيرة بأضواء أعياد الميلاد .

تذكرت عرض زميلتها في العمل للخروج تلك الليلة لكنها ترددت ولكن الآن ... لا لن تعارض فلم تستطع تحمل هذه الوحدة أكثر من ذلك .

كان الوقت قد تأخر عندما عادت من تلك السهرة . تمشت مع أصدقائها في الشوارع المضاءة نظروا إلى واجهات المحلات . قرروا بعد ذلك تناول وجبة عشاء خفيفة .

انتهت العشاء بعد العاشرة . توجه كل واحد منهم بعد ذلك إلي بيته أما فينيلا فقد كانت سعيدة . قضت ساعات ممتعة ومسلية مع أصدقائها . دفعت أجرة التاكسي واتجهت إلى باب شقتها كانت ماتزال الابتسامة على شفتيها وسعيدة لأنها قررت الخروج الليلة . فجأة ومن الظلمة خرج شبح طويل . أطلقت صرخة مكتومة وبسرعة استرجعت ماتعلمته في مثل تلك المواقف

– من أنت ؟ وماذا تفعل هنا ؟

– لا تقلقي فينيلا . < بدا صوته مألوفا . تقدم قليلاً إلى الأمام > لم أقصد إخافتك . أعلم أن الوقت قد تأخر ومن المحتمل أن لديك خططا أخرى . ولكني أتيت من مسافات بعيدة لأراك هل

لي أن أدخل ؟

حدقت فيه فينيلا . غير قادرة على قول أي شيء وغير مصدقة لما تراه عيناها . لابد وأن هناك خطأ . أو أنها تري حلماً لا يمكن ... تحرك إلى الأمام قليلاً استطاعت أن ترى وجهه بفضل الضوء القادم من الشارع المضاء ، رأت شعره الأسود الكثيف ووجهه الجاد والتماع ضوء القمر في عينيه .

– روبرت < همست > ولكن ... ولكن أنت .. أنت تمشي !!!

– قلت لك أني سأمشي من جديد < قال باختصار > ألم تصدقيني ؟

لم تستطع فينيلا أن تنطق بكلمة واحدة ولم تكن تعرف كيف تفسر المشاعر التي كانت تنتابها . ألم تبكي الليالي بسبب قسوة ذلك الرجل ؟ ألم تقضي الليالي في السهر تندب حظها من بعده عنها ؟ ألم تقنع نفسها أنه من الأفضل لها أن يبتعد عن حياتها ؟ ألم تقرر عدم رؤيته مرة أخرى ؟

ألم تشتاق إليه مراراً وهي تحاول نسياه جاهدة ؟

والآن ... الآن يقف أمامها . يقف أمامها تماماً كما شاهدته في أحلامها أرادت أن تتقدم وترمي بنفسها بين ذراعيه

لقد حاولت كثيراً . قالت لنفسها . حاولت كثيراً أن أبني حياتي من

جديد . والليلة وبعد أن أعتدت على تلك الحياة ، تأتي إلى لتقول ماذا ؟ هل جئت تخبرني انك مشيت من جديد ؟ وبأنك ستمشي من حياتي إلى الأبد ؟

– أريد أن أتحدث إليك .

– وهل هناك من شيء يمكن أن نتحدث عنه ؟

وجدت المفتاح واتجهت إلى الباب لتفتحه . شعرت به ملتصقاً بها .

– فينيلا ، < كان في صوته رجاء وتوسل > لم تصدق أذنيها أن تسمع روبرت يحدثها بتلك الطريقة . روبرت القاسي المتعجرف الساخر .

– هل تسمحين لي بالدخول ؟

لم تجبه . دخلت وتركت الباب مفتوحاً .

اتجهت مباشرة إلى النافذة . الليلة كانت ماتزال مضاءة . الشارع خالياً ماعدا رجل كبير في السن ينزه كلبه . حدقت في اللاشيء . لقد استطاعت مؤخراً أن تحصل على السلام والهدوء ولكن الآن وبعودة روبرت .. ؟

– والآن .... هل استطيع أن أدخل ؟

التفتت إليه وجدته مايزال يقف عند الباب

كانت وكأنها تراه للمرة الأولى . كان أطول مما توقعت رشيقاً .

وجهه أصغر مما عهدته وهالة سوداء تحيط بعينيه الرماديتين . كان ينظر إليها بشوق جعلتها تنكمش في مكانها .

– أنا آسف . لقد أخفتك وأقلقتك بمجيء إليك بهذه الصورة . ولكنى أتيت اليوم إلى لندن وأردت أن أراك بأسرع وقت ممكن .

– لقد حصلت علي نتيجة جيدة من علاجك هذا ماأراه بدا كلامها غبياً وبدون معني . ابتسم لها قائلاً :

– كما ترين . ولكن لا يمكن؛ تسميته علاجاً .. بل عمل مضن وقاس من جهتي . ولكني كنت قد قررت السير من جديد . فالبعض يقرر صعود قمة ايفرست .

" ولكن حالتك أصعب " فكرت فينيلا . ولكنها كانت معجبة بعزمه وشجاعته ولكنها كانت ماتزال غاضبة من الطريقة التي رحل بها وتركها وحيدة .

– حسناً .... أنا سعيدة لأنك نجحت < قالت ببرود > والآن وقد رأيتني . أتوقع أن تذهب مرة أخري . أو أنك تود أن تشرب شيئاً .

رفع حاجبيه "

– هل يعني أن أنصرف ؟ لقد وصلت لتوي .

– في الحقيقة لا أري سبباً لمجيئك في مثل هذه من الليل ؟ ألم تستطع الانتظار حتى الصباح ؟ أو على الأقل اتصل بالهاتف.

– بالهاتف كنت أعتقد أنك ستسرين لرؤيتي .

وضعت فينيلا حقيبتها على الطاولة .

– هل هذا صحيح ؟ أتساءل ماالذي جعلك تعتقد هذا ؟ فبعد الطريقة التي ابتعدت فيها عني < عضت على شفتها > أنا آسفة . بعد الطريقة التي غادرت فيها البيت لاأظن أنك يمكن أن تفكر هكذا ؟ ألا تدرك كم هو مؤلم ؟ < ارتجف صوتها > ألا تعرف ماذا أصابني بعد أن أكتشفت هروبك ؟ والأدهى من ذلك .... تركت حوالة مصرفية لقاء خدماتي ...لقد أهنتني وجرحتني .

دهشت عندما رأته يبتسم

– إهانة ؟ لماذا تنظرين إلى الأمور هكذا ؟ لقد كنت سكرتيرتي . لقد ابتعدت عنك لأستطيع تحقيق هدفي لقد عوضت لك اتعابك وزدت لك الراتب لأنني ظلمتك بصرفك عن العمل بهذه الطريقة . وكيف لاأعمل مثل ذلك . وأنت وضعت أسساً لعلاقتنا مع صاحب العمل والموظفة .

– وكيف كنت تريدين أن أنظر إليك ؟

سألته فينيلا بينما الابتسامة كانت ماتزال علي شفتيه تقدم إليها

ببطء . لم يكن هناك أي تقصير أو عيب في مشيته توقف على بضع انشات منها :

– توقعت وتأملت أن تنظري إلي مثلما نظرت إليك دائماً < قال ذلك بنعومة > شيء أكثر من صاحب العمل وأكثر من صديق .

رفعت فينيلا نظرها إليه . تسارع نبضها . حاولت أن تتنفس بشكل طبيعي .

– هل فهمت لم أردت الابتعاد عنك ؟

تمتم بصوت منخفض رافعاً يده وملامساً رقبتها بأطراف أصابعه.

— ماذا كان يمكن أن أقدمه لك وأنا على ذلك الكرسي اللعين ؟ ماذا يمكن أن أقول أو أفعل . لم يكن باستطاعتي حتى اللحاق بك إذا ماخرجت من الغرفة . ما كان يمكن أن نعيش قريبين من بعضنا فقد كنت سأخطا في حقك في كل لحظة . كان يجب أن أبتعد لأتمكن من متابعة العلاج ولأستطيع السير من جديد . وكما ترين أصبح بإمكاني الوقوف الآن لوحدي وبدون مساعدة أحد أو حتي بدون الاستعانة بالعكاز . الآن .... أصبح بإمكانك السير معي . هل تفهمين وليس مع أحد غيري .

هزت فينيلا رأسها .. كانت تود أن ترفض كلماته .

ولماذا عليها أن تسير معه ؟ ولكن الكلمات لم تخرج من فمها .

رفعت نظرها إليه والتقت عيونهما تذكرت اللحظات الحميمة التي قضتها معه قبل ثلاثة شهور وقد كان مايزال سجين الكرسي المتحرك . وكأنه هو الآخر تذكرها لأن سرعان ماإقترب منها واحتواها بين ذراعيه .

بعد أن ابتعد عنها شعرت فينيلا بضعف يجتاح جسمها استندت على صدره . لم يبق من غضبها وسخطها عليه شيء . أدركت أنه كان محقاً تماماً في العودة إليها . فلم تكن تعتبر حية قبل ذلك .

– أحبك فينيلا . < قال بهدوء > أنت تعرفين ذلك الآن أليس كذلك ؟ هل أدركت لماذا كان يجب أن أبتعد عنك ؟

وافقته بإيماءة من رأسها . واستدركت قائلة :

– ولكن لم يكن عليك الابتعاد . كان يجب أن تخبرني تلك الليلة .

– لا ... ليس وأنا قابع في ذلك الكرسي .

– وما الفرق في ذلك ؟

ولكنه لم يقتنع . قادها من ذراعيها وجلسا على الأريكة .

– ماذا ... ؟ وماالفرق أريد أن أعرف . فقد كنت أحبك منذ ذلك الوقت . لم أكن أدرك ذلك ولكني أحببتك ووجودك على الكرسي

المتحرك . لم يكن ليشكل أي عائق في وجه هذا الحب .

– ولكنه كان عائقاً بالنسبة لي . لاأعتقد أنه باستطاعتك إدراك مدى كرهي لذلك الوضع . كم اشتقت للهروب منه . لقد كنت كل الوقت حبيسة ذلك الكرسي اللعين . كنت أشعر أنني نصف رجل ولست رجلاً كاملاً . لم أكن أعرف حتى إذا كان بإمكاني أن أحب أمرأة أو أتزوجها . كيف كان لي أن أطلب الزواج منك ؟ كيف كان من الممكن أن أطلب الوعود منك ؟ كيف كنت سأربط مصيرك بمصيري ؟ كان يجب أن أتأكد من أنني سأضمن لك حياتك . لهذا أبتعدت عن حياتي فجأة < توقف قليلاً ومن ثم تابع > كما أنني لم أكن متأكداً من مشاعرك . كان هناك الشاب أندرو . ألا يعقل أن تكوني قد وقعت في حبه . كان يجب أن أعطيك الوقت الكافي للتفكير .... وحتي الآن لازلت غير متأكد من عواطفك فمن الممكن أنه مايزال يخرج معك .

– لا .... أن لاأراه كثيراً فعمله يأخذ معظم وقته . ولا أشعر نحوه إلا بالصداقة .

– هل أنت متأكدة ؟

ترددت قليلاً .

– من جهتي ... نعم .... اعتقد أن أندرو كانت لديه الرغبة

في تطوير هذه العلاقة . ولكن لم يحدث أبداً أفلم يكن بالنسبة لي إلا الصديق . ولكن هذا لا يعني أنه سيء بل على العكس إنه حساس والفتاة التي ستتزوجه تعتبر محظوظة . ولكن ليس أخا .

– أنت محقة جداً . فهذا لن يحدث أبداً .

شدها إليه مرة أخرى وتابع .

– نعم لن تكوني أنت . لأنك ستكونين زوجتي وبأسرع وقت ممكن . هل هذا مفهوم ؟

فتحت فينيلا فمها لكي تعترض ولكنه لم يدعها تنطق بأي حرف إذ سرعان ما فاجأها بقبلة أنستها كل ما كانت تود قوله .

بعد قليل قال لها :

– أظن أنه مفهوم .

– آه روبرت ... ماالذي يحدث لنا ؟ لماذا ابتعدنا عن بعضنا؟

قبلها مرة أخرى .

– أنت تعرفين السبب ياعزيزتي ولكن كل شيء انتهى الآن . سنتزوج في أسرع وقت .

لم تجبه بل عاودت الاحتماء بين ذراعيه

سألها :

– ها مازالت تريدينني أن أذهب ؟

– لا .... آه .... لا لا أرجوك .

– هل تودين أن أبقى ؟

– نعم .....

وبادلته بعواطف جياشة كي لايبتعد عنها .

– أنت . < همست محدقة فيه > أنت روبرت كنت أنت دائماً

رأت الاستجابة في عينيه . هزت رأسها مراراً في محاولة للتذكر كانت ماتزال أفكارها مشوشة . شعرت وكأنها قد خرجت لتوها من نفق معتم .

– أنت < تنفست بصعوبة رافعة يداً مرتجفة إلى جبهتها >

– هل تذكرت .

– نعم ... لا أدري .. فعقلي مليء بالصور والأصوات لاستطيع ترتيبها ... لاأدري ماذا أتذكر . فكل الأفكار قد اختلطت . أمي ... أبي ... المدرسة ... الجامعة ... جيرمي نحن شخص يدعي جيرمي و.. وأنت . كنت دائماً معي . لقد كنت معي عندما ...

ارتجفت وحدقت في أرجاء الغرفة .

– عندما حدث كل شيء .. أليس كذلك . لقد كنا هنا لقد

كنا ...

– كنا كما نحن الآن .... فينيلا لاتحاولي جلب أفكارك دعيها تأتي لوحدها وبهدوء . ولاتخافي . < قربها منه > ليس هناك مايخيف الآن . < قال بنعومة > نحن هنا الآن نحن معاً ولن يحدث شيء . استرخي وحاولي أن تريحي أفكارك . وكل شيء سيسير على مايرام .

– ولكني أتذكر الآن ياعزيزي :

– حسناً ولن تتمكن من إيقاف تلك الذكريات . كل ما عليك عمله هو إقناع نفسك بأنه لن يحدث لك أي سوء ثقي بي وحدثيني . أخبريني بما تتذكرين .

مكثا قريبين من بعضهما أخذت فينيلا نفساً طويلا وقالت .

– حسناً روبرت أنا مستعدة الآن . أغمضت عينيها وانسابت الذكريات إلى عقلها .

الفصل السابع

بدأت الذكريات تتهافت عليها من جميع الجهات . وكأن سيلاً من المياه اندفع فجأة ولاراد له تتسارع الصور أمامها وتمر من أمام عينيها . طفولتها . مراهقتها . لهوها مع أصدقائها المحاولة الأولى للمكياج . أرتداء الجينزات المهترئة . الاستماع إلى موسيقى البوب . الوقوع في الحب للمرة الأولى وألم الوحدة وكسحابة مليئة بالذكريات أمطرت فجأة على ساحة عقلها جعلتها ترتعد خوفاً وقلقاً وتبعد رأسها لعلها تتخلص من تلك الذكريات الأليمة وتتفادى ماهو أصعب . ولكنها تعرف الآن ألا مفر منها فهي ماثلة أمامها . وليس أمامها إلا التذكر وبأدق التفاصيل .

كان روبرت ينظر إليها . وعيناه ملؤهما القلق كانت فينيلا تدرك تماماً مدى تفهمه وإدراكه حالتها .

– هل تتذكرين كل شيء ؟

– كل شيء ... هذا سؤال كبير ياروبرت .

كان صوتها هامساً وكأنها تعاني من صدمة تابعت :

– هناك الكثير . أشياء جديدة . وأنا بحاجة للتفكير

– هل تودين أن تكوني لوحدك ؟

في الحال أدارت إليه وجهاً قلقاً وخائفاً :

- لا ... لا .. لاتتركني .. لاأستطيع أن أكون لوحدي . أنا خائفة . أنا .. < توقفت عن التكلم وهي ترتجف بين ذراعيه محاولة دفن وجهها على صدره > روبرت يجب أن أفكر . لانظم هذه الذكريات . فهي مرتبكة ومتشابكة لا أدري أي منها تأتي أولاً وأي تأتي بعد ذلك ولكن من المؤكد أنني أريدك معي .. هل تبقى ... أرجوك؟

ابتسم لها ولدهشتها رأت الراحة والتفهم في عينيه وشيء آخر أيضاً شيء أعتقدته وتأملت أن يكون الحب . ولكنها لن تعرف ذلك . مالم تنته من توارد هذه الذكريات . حيث انها من المؤكد أنه يأخذ حيزاً هاماً من ذكرياتها .

كما أنها متأكدة تماماً أنه كان جزءاً من آخر تلك الذكريات تلك الذكريات التي تبعث فيها الرعب والخوف . والتي تقبع في عقلها تنتظر دورها للظهور .

بدأ كل شيء كما أعتقدت فينيلا في اليوم الذي قابلت فيه جيرمي ستاند . حتى ذلك الوقت لم يكن في حياتها شيء غير عادي كانت حياتها تسير وفق نظام عادي . تلقت علومها في إحدى المدارس القليلة المتبقية للبنات . والحقت دراستها بدورة حول العمل المكتبي

وعملت في مكتبة تبعد عن بيتها ثلاثين ميلاً . كانت تلك المكتبة خاصة بأساتذة الجامعة . وبسبب بعد بيتها عن مركز عملها أستأجرت لنفسها شقة قريبة من المكتبة وراحت تزور أهلها كل نهاية أسبوع كان لديها الكثير من الأصدقاء الشباب ولكن لم يكن هناك من له مكانة خاصة لديها إلى أن جاء جيرمي ودخل حياتها .

تذكرت فينيلا اليوم الأول الذي رأته فيه . كانت تقوم بفرز بعض الكتب الجديدة وترتيبها بالتعاون مع إحدى صديقاتها في المكتبة رفعت نظرها لتفاجأ به يقف حائراً أمام أحد الرفوف . كانت أشعة الشمس تتسلل من إحدى النوافذ وتنير شعره الأشقر لتحوله إلى سنبله قمح مضيئة . بدت لها الصورة وكأنها تحدث أمامها الآن وليس بالأمس البعيد .

- مرحباً < بادرته صديقتها بنعومة > ذلك الكتاب يشبه كتاب " المحاضرين باللغة الأنكليزية " سمعت أنه ممتع جداً هل أناولك إياه؟

ابتسمت فينيلا أيضاً إلا أن قلبها كان يتصرف بطريقة غريبة أما تنفسها كان متسارعاً . شاهدت الرجل يلتفت إليهما شعرت بإرتباك قالت لصديقتها :

- لا ... حسناً ياجيني بإمكانك الذهاب إليه سأقوم بترتيب

هذه الكتب لوحدي .

– إنت مجنونة . كنت دائماً أتوقع ذلك . لاتقولي إنني لم أعطك الفرصة . ‹ اتجهت إلى الرجل ›

انحنت فينيلا مرة أخرى لمواصلة عملها وقد ارتاحت من تلك المواجهة . لم يكن لديها أدنى شك في أن الشاب سيخرج من المحل بعد لحظات وقد أعطى جيني موعداً للخروج معه إلا إذا كان متزوجاً . ولكن شيئاً ما . كان يقول لها أنه غير متزوج قفز قلبها مرة أخرى من الانفعال .

تابعت عملها . إلا أنها كانت بعد الفترة والأخرى تختلس النظر إليهما وهما يقفان متقاربين يتحدثان بحماس . ومن ثم شاهدت جيني تترك الرجل وتتجه إليها . ظل الرجل واقفاً لا يتحرك وكأنه ينتظر أمراً ما . لحقت عيناه جيني واستقرتا بعد ذلك على فينيلا.

– عزيزتي فينيلا ، السيد ساند يود أن يحصل على كتاب من غرفة المراجع . سأذهب معه لأدله على المكان .

‹ اقتربت منها وأخفضت صوتها متمتمة › لايبدو جاهلاً بالمكان إلا أنه ... قلت لك إنك مجنونة فينيلا إنه شاب رائع إسمه جيرمي وأعذب ويبحث عن بيت .

ضحكت فينيلا قائلة :

– وهل تعرفين برجه . وهواياته . والأطعمة التي يفضلها واللون المفضل لديه ؟ جيني أنت غير قابلة للإصلاح .

– أعرف ... ولكنني أتسلى وألهو .

غمزت لفينيلا وأنطلقت لتنضم إلى الرجل الواقف على مقربة منها ينتظر . قادته إلى غرفة صغيرة حيث الكتب المحفوظة والتي لا يسمح للمراجعين بدخولها . رأتهما فينيلا يدخلان الغرفة ويغلقان الغرفة بإحكام . عادت إلى عملها . في الواقع لم تدر فينيلا كم من الوقت مكثا في الداخل لأن مجموعة من الطلاب دخلوا المكتبة وكان عليها أن تلبي طلباتهم من الكتب بعد فترة لابأس بها . غادر الطلاب بعد ذلك انضمت إليهما جيني ولكنها لم تر لجيري أثراً .

– أوه .. لقد ذهب منذ فترة طويلة . هناك بيت يود أن يراه . قلت لك إنه يبحث عن بيت . أليس كذلك . ألم أقل لك ؟

– متى سيكون موعدك الأول معه ؟

– بصراحة ... فينيلا . وماذا تعتقدين أنني ... هل حقاً تعتقدين أنني أخرج مع رجل لم أكد أعرفه أو أنني قابلته لتوي ؟ في الواقع لم يطلب مني موعداً . في حقيقة الأمر يبدو مهتماً بك أكثر من اهتمامه بي .

– بي أنا ... ؟ ‹ نظرت إليه مستغربة › جيني إنك تقحمين

في هذا الموضوع .

– لا ... لم أفعل هذا . إنه مهتم بك . إنه لاينفك يتحدث عنك ويسأل عن أسمك . وأين تعيشين وهل لديك صديق معين ... صحيح إنه حاول ألا يكون مكشوفاً ولكني لست حمقاء . هذا الرجل سيعود فينيلا . ولكن لن يرافقني أنا إلى غرفة المراجع بل سيرافق أحد غيري .

حدقت فيها فينيلا . وسألتها :

– ولكن ماذا قلت عني ؟

– حسناً ... ماذا تعتقدين أنني قلت ؟ قلت له انك متزوجة ولديك ستة أطفال وزوج غيور حاصل علي العديد من الميداليات في القتال .

انفجرت جيني ضاحكة لدي رؤيتها لتعبير الاستغراب على وجه فينيلا .

– لاتنظري إلي هكذا . وماذا تعتقدين أنني قلت بحق السماء أحمرت فينيلا وابتسمت لها :

– ليس هذا ولكني لازلت لا أدري لم أثر فيه هذا الأهتمام خاصة وأنت تقدمين له كل الاهتمام . وعلى كل حال كلنا يعلم أن الرجال يفضلون الشقراوات .

– ولكن ليس عندما يكونون هم أنفسهم شقراً . فهم في مثل هذه الحالة يفضلون العكس على كل الرجل يفضلك أنت .

نسيت تلك المناقشة والمحادثة تماماً .

لم تر جيرمي ساند لعدة أيام . على الرغم من أنها كانت تختلس النظر كلما دخل أحدهم إلى المكتبة ويبدأ قلبها في الخفقان في النهاية اقتنعت أن جيني كانت مخطئة أو أنها كان تسخر منها .

ولكنها لم تكن آسفة فقد كانت مقتنعة بحياتها وبعملها تلتقي الأصدقاء من وقت إلى آخر . أما عطلتها الأسبوعية فقد كانت تقضيها مع والديها .

لا .... لم تكن بحاجة إلى تعقيدات في حياتها . فقد كانت متأكدة أنه إذا ما دخل جيرمي حياتها فسيأتيها بالصعوبات والهموم بعد ذلك القرارالذى إتخذته بينها وبين نفسها . لم تعد تختلس النظر إلى الباب تابعت عملها إلي أن سمعت صوتاً بارداً يكلمها وهي منسجمة في عملها :

– أعتقد أنه لن يكون بإمكانك مساعدتي . أليس كذلك ؟

إني أبحث عن كتاب .

بدأ قلبها يخفق بشدة وتجمدت في مكانها والصمت يلفها تماماً .

لم تكن تعرفه من سمعت صوته من قبل ولكنها عرفته مباشرة

جيرمي ساند .

رفعت ببطء عينيها إليه ونظرت إلى عينيه الزرقاوين المتحديتين .

– أنا آسفة ... كتاب ؟ آه ... نعم ... عندنا الكثير من الكتب .

كانت متأكدة أنها تبدو غبية بتلك الكلمات الفارغة وقد شعرت بوجهها يتحول إلى اللون القرمزي . أزاحت نظرها عنه بعد أن لاحظت نظرته اللاهية والمستمتعة بارتباكها . " آه ياجيني أين أنت ؟" فكرت بيأس . لاأستطيع معالجة هذا الموقف لوحدي . ولكن جيني لم تكن موجودة وهي الآن وجهاً لوجه مع جيرمي ينظر إليها وكأنه يريد أن يخترق تفكيرها .

ولكنه عندما تحدث مرة ثانية لم تعد لهجة اللهو ظاهرة . رفعت نظرها إليه ورأت الدفء في عينيه أيضاً وكأنه وجد شيئاً محبباً فيها

– إنه كتاب جديد فينيلا < لاحظت أنه يقول شيئاً ولكنه يعني شيئاً آخر > لاتمانعين إذا قلت لك فينيلا أليس كذلك ؟ فقد أجبرتني صديقتك جيني عن إسمك .

أخبرها اسم الكتاب الذي يريده .

– لا أدري إذا كان متوافراً ؟ لقد أخبرتني أنه سيتوافر

خلال أيام .

– حسناً . سنعرف

نهضت فينيلا من مكانها وأتجهت إلى أحد الرفوف . أدركت أن جيني قد كذبت عليه . ليتسنى لها رؤيته مرة أخرى .

– هاهو .

وجدت الكتاب الذي طلبه . حملته إليه . وقفا للحظة يحدقان في بعضهما . أصابعهما تكاد تتلامس على غلاف الكتاب وكانت عيناها تسعيان للقاء عينيه . أرادت أن تزيحهما إلا أنها لم تستطع . كم تمنت أن يأخذ الكتاب ويرحل .

– أنت مغالة جداً . < تمتم بصوت منخفض >

تابع قائلاً :

– ولكنك لو لم تجدي الكتاب بسرعة لكنا مكثنا خلف تلك الرفوف لمدة أطول . ولكنا تعارفنا أكثر .

كان يقف قريباً منها . تراجعت خطوة إلي الوراء ولكن اصطدم ظهرها برف الكتب .

– هل تود .. هل تود التعرف علي < سألته لاهثة .

– تمنين ذلك منذ المرة الماضية ومنذ أن رأيتك منذ خمسة أو ستة أيام . ولكني أشعر أنه كان اللقاء منذ شهر عيناه كانتا

دافئتين ،أصابعه بدأت تلامس أصابعها .

– فينيلا . أنت تعلمين ما يحصل لنا .. أليس كذلك .

– لا .. لا أنا لا أعلم شيئاً ولاشيء يحدث بيننا . أرجوك إذا كنت قد حصلت على الكتاب المطلوب ....

‹ ناولته الكتاب إلا أنه أمسك بيدها بقوة ›

– أرجوك ... نظرت إليه بتوسل .

– أنت تعلمين وأنا أعلم الآن أنك لاتستطيعين المقاومة قرب وجهه من وجهها واختطف قبلة خاطفة .

قفزت فينيلا من مكانها مصطدمة بالرف خلفها ووقعت الكتب من جراء هذا الاصطدام . بدا الصوت كانفجار مفاجيء خاصة وأن المكتبة كان يسودها الهدوء والصمت . سمعت صوت صديقتها جيني تناديها من مكان ما لتتأكد من سلامتها . انحنت تلتقط الكتب بينما أصبح جيرمي قريباً منها كتفاه ملاصقين لكتفي فينيلا .

– أرجوك ‹ قالت بصوت منخفض › أرجوك دعني أختم لك الكتاب . لدي الكثير من العمل وهذا ليس الوقت أو المكان المناسب لمثل هذا .

– أنت محقة . ‹ سلمها الكتب التي كانت على الأرض ›

دعينا نحدد موعداً مناسباً .

– نحدد ماذا ... ؟ أنا ليس ...

– ليس عندك الوقت أو المكان المناسب ....أظن أنك راغبة في تحديد موعد .

– لا أدري ‹ نظرت إليه ختمت الكتاب وأعطته تاريخ الاستعارة سيد ستاند أنا .....

– جيرمي أرجوك .

– أنا لاأعرفك .. وأنت لاتعرفيني . نحن ....

– هذه هي النقطة المهمة ... نحن لانعرف بعضنا . إذن يجب أن نتعرف وهذا يعني بالتالي الترتيب لذلك . والآن مارأيك أن نتناول العشاء معاً هذه الليلة ؟ لقد أكتشفت مطعماً صغيراً ورائعاً .

– ولكني ...

– ماهو عنوانك . ‹ قال وكأنه لم يسمع اعتراضها › سآتي لآخذك في السابعة والنصف . هل هذا مناسب لك ؟

– ولكن ....

– أنا لا أطلب إلا لقاء واحداً . وليس حياة بطولها .

– نعم ولكن .....

– ويسرني أنا أبقي هنا حتى توافقي .

نظرت فينيلا إليه أدركت أنه يعنى مايقول فسيظل في مكانه إلي أن توافق على الخروج معه في ذلك المساء . استسلمت أخيراً . ولم يتطلب ذلك منه الجهد الكبير .

– حسناً في السابعة والنصف < أخبرته عن عنوانها > ولكن هذا لايعني .....

– إنه لا يعني أي شيء < قال بمرح > فقط أنني سأذهب لآخذك إلى العشاء في السابعة والنصف ولم أعن شيئاً آخر . والآن سأتركك لعملك < آخذ يدها بين يديه وقربها من شفتيه طابعاً عليها قبلة طويلة > إلى اللقاء في المساء إذن ، بابتسامة مرحة غادر المكتبة . ومالبثت فينيلا أن وجدت جيني وقد أصبحت بجانبها .

– حسناً ... لم تضيعي وقتك . ألم أقل لك إنه مهتم بك ؟ متى سيكون اللقاء ؟

نظرت إليها فينيلا تنهدت وابتسمت بارتباك .

– الليلة . سأتعشى معه . لا أدري ماالذي يحدث لي قلت لنفسي إنني لاأريد . أقسم أنني لم أكن مهتمة . ولكن ....

– ولكن ... لم تكن تلك هي الحقيقة . ماالذي حدث فينيلا . هل أصبحت أكثر آدمية . كبقية الناس . إذا أردت رأي . لقد كنت كثيرة التزمت وكأنك مازلت تلميذة في المدرسة . ولكن الآن لقد بدأت

تعيشين وبدأت تحبين الحياة .

– هل هذا صحيح ؟ < نظرت إلى صديقتها بشك > أمل ذلك جيني . صدقاً أمل ذلك .

فيما بعد ، تحققت فينيلا أنها كانت كالمنومة مغناطيسياً . لم تكن لها أية قدرة على الاعتراض أو التصرف الذاتي . كانت كالقطة . تنتظر دائماً من يلمس رأسها ويربت عليها وهي تستجيب . لقد أعطته ثقتها . إخلاصها وجهها الخالص والصادق .

لم يحدث لها قط مثل ذلك من قبل . كانت مسلوبة الإرادة . ومفتونة بطريقة معاملته لها . ولقد كان خبيراً في ذلك . حيث سيطر علي حواسها وإرادتها تماماً . وعلي الرغم من ذلك كانت مسرورة .

في الواقع لقد أصبحت حياتها سلسلة من الأحلام السعيدة ولكن المسيطرة .

– أريد أن أقول لك شيئاً فينيلا < قالت لها يوماً جيني > صحيح أنه من أكثر الرجال وسامة . وأنها لم تر مثله منذ أكثر من عام . وأنك تزيدين أمتاع نفسك بهذا الحب . ولكنك ذهبت بعيداً في ذلك .

– لا أستطيع أن أسيطر على نفسي < اعترفت فينيلا > لم أتعرف على أي إنسان مثله من قبل . إنه .. إنه ... في الواقع لم

أر مثله أبداً .

لم تعد تدري ماذا تقول .

– ياللسماء ... لقد بدأ الأمر يصبح سيئاً . هل انتقلت للعيش في شقته ؟

تصاعد الدم إلى وجنتي فينيلا .

– لا ....

– ولكنك على وشك القيام بذلك . أليس كذلك ؟

وماعليه إلا أن يطلب منك ذلك . آه يافينيلا . هل أنت متأكدة مما تفعلين ؟

– نعم ... لا .. لا أدري . لست متأكدة من أي شيء هذه الأيام . < نظرت إليها بنفاد صبر > ولكن لماذا كل هذا الاهتمام . أنا متأكدة أنك لم تكوني لتمانعي لو أنك في مكاني .

– نعم هذا صحيح . إنه يجذبني كثيرا . ولقد فتنت به منذ اللحظة الأولى لرؤيته . ولكن أنت . أنت مختلفة فينيلا . فأنت لاتذهبين مع أي إنسان . ولا تلهين مثلي مع أي رجل بل تأخذين الأمور بجدية .... أليس كذلك ؟

– نعم هذا صحيح .

– إذن ماذا ستفعلين ؟

أخذت فينيلا نفساً عميقاً وأجابتها :

– في الوقت الحاضر لاشيء . سأذهب إلى بيتي حيث والدي في نهاية الأسبوع القادم . ومن ثم أقرر . وماذا يمكنني أن أفعل ؟

– وهل ستأخذين جيرمي معك ؟

– لا .. ليس هذه المرة . < لم تقل لصديقتها إنها وبعد عدة لقاءات دعته للذهاب معها . إلى أملها إلا أنه كان يعتذر دائماً . وبشكل مؤذ وكان يتركها في حالة من الشعور بالإهانة وكأنها كانت تطلب منه أشياءً ليس مستعداً لها .

وفي المحتمل ألا يستعد لها أبداً .

– حسناً . < قالت جيني > احذري فينيلا . فأنت كالطفل البريء في هذا العالم الفاسد . أشعر في بعض الأحيان وكأنني أكبرك بمئات السنين . وأشعر بالمسؤولية نحوك ؟

ضحكت فينيلا :

– لاتكوني سخيفة جيني . فأنت لست مسؤولة عن شيء لأنني كنت سأقابله على كل الأحوال فهذا هو القدر .

– أعرف ... ولكني شجعتك على ذلك . وأعلم أنني أقول الكثير من الكلمات السخيفة في بعض الأحيان . ولكن أتساءل كيف

ستتصرف فتاة مثلك ترعرعت في مدرسة للفتيات فقط في مثل هذا الموقف .

ولكن فينيلا تعرف أن تصرفاتها وحياتها لا تعودان إلى ترعرعها في مدرسة للبنات فقط . وإنما تربيتها منذ الصغر . فقد ولدت لوالدين في الأربعين من العمر . وقد فقدا الأمل في الإنجاب .عاملا طفلتهما الوحيدة كلعبة أو دمية غالية الثمن . وليس كطفلة تعيش في أواخر القرن العشرين .

كانت تشعر دائماً أنها تنتمي إلى القرن الماضي . بتصرفاتها وأخلاقياتها . إلا أن شخصيتها وطبعها المنفتح جعلاها تندمج بسرعة مع غيرها من الفتيات . أو أنها أصبحت أكثر آدمية كما قالت لها يوماً جيني . أما جيرمي فقد غير كل ذلك . جعلها تتقد حباً وأحاسيساً لم تكن قد عرفتها من قبل أو حلمت بها . كانت متأكدة أنها معه ستتعرف على جميع الأشياء الجميلة التي كانت تسمعها من صديقاتها .

أما والداها فقد كانا يشكلان عائقاً كبيراً في طريق نضوجها سفرهما إلى كندا بعد الحد الفاصل بينها وبين النضوج والدلال . كانت متأكدة أنها لن تنضج ولن تصبح أمرأة إلا إذا ماسافر والداها . ولكنها في نفس الوقت كانت قلقة لأنها ستصبح لوحدها

وستكون مسؤولة عن نفسها مسؤلية كاملة . وستعيش حياة المستقلة بنفسها جعلتها تلك الفكرة ترتجف إثارة .

– إذن < قال جيرمي عندما جاءت إلى بيته الصغير بعد عودتها من عطلة نهاية الأسبوع > لقد ذهبوا أليس كذلك ؟ إنهما بإمان في الجهة الثانية من المحيط الأطلسي ولم يبق ماتقلقين من أجله .

– أقلق ؟

جلس جيرمي بجانبها على الأريكة وضحك . ألقى بيده على ظهرها وبدأ بملامسة رقبتها بنعومة .

– هيا فينيلا ..... دائم الخوف من ارتكاب أي شيء لايتناسب مع أفكار والديك وكأنك طفلة خائفة من ارتكاب خطيئة تحاسبك عليها والدتك < اقترب منها أكثر > ولكنها ليست خطيئتك . انها خطيئة والديك لقد أحكما الوثاق حولك وكأنه لن تأتي نقطة التحول تلك . وعندما تقعين في الحب الحقيقي .ولكنهما الآن أعترفا بأنك قد نضجت وأصبحت بحجم المسئولية لقد ذهبا وغادرا البلد . كم سيغيبان ؟ شهرين ؟ أنت مضطرة الآن لمعالجة أمورك بنفسك ، واتخاذ قراراتك أيضاً وبدون تدخل أحد . < عانقها بنعومة > والآن ماذا ستقررين فينيلا ؟

– أقرر ؟ ... همست كان رأسها يدور ، ماذا ... وبماذا ؟

– ماذا ... لاتدرين عن ماذا ... ، ازداد التصاقاً بها ، عنا نحن الاثنين طبعاً .

– لم تقرر بعد هذا المساء أو ربما كانت قد أتخذت قرارها منذ عدة أسابيع ومنذ اللحظة التي رأته فيها للمرة الأولى في المكتبة مهما تكن الأسباب والحقائق ، انتقلت للحياة معه في بيته الصغير .

لابد وأن جيني صنفتهما بالحمق ، ولكنها ليست هنا ، ولن تراها الآن . فقد أخذت مكانها في المكتبة إمرأة مسنة صعبة الطباع .

على كل حال – فكرت فينيلا – ليس هناك من أحد يمكن أن يغير من الأمر شيئاً

أما الآن وهي بين ذراعي روبرت وتعود بذاكرتها إلى تلك الفترة أدركت كم كانت انفعالاتها عنيفة ، ربما أعنف مما يستحق الموقف.

عاشت مع جيرمي ستة أسابيع إلى أن جاءها ذات مساء ، إليها بجريدة قائلاً :

– هذا ما كنت أنتظره سأغادر خلال أسبوعين .

حدقت فينيلا فيه

– ستغادر .... إلى أين ؟

– إلى سنغافورا ، ، قالها ببساطة وكأنه يخبرها أنه ذاهب إلي الشارع القريب من البيت ، لقد حصلت على وظيفة في التدريس ذات أجر عالى طبعاً وسكن ، وخدم وحياة اجتماعية رائعة .... ياللخسارة ، لن تستطيعي الذهاب معي أيضاً ولكن أمل أن يتوافر لك عمل فيما بعد .

جلست فينيلا لأنها لم تعد تستطيع الاستمرار واقفة أكثر من ذلك.

– جيرمي ... هل تمزح ؟

– لا .. بالطبع لا ... لقد علمت هذا الصباح أنه لايمكنني السفر قبل أسبوعين ولكن لابأس .

اقترب منها وجلس بجانبها .

– مابك لم هذا الحزن والقلق فينيلا ، أعرف أنها كانت مفاجأة لك ، ولكننا قضينا وقتاً ممتعاً معاً ، أليس كذلك ؟ تمتعنا كثيراً ، ربما يمكنك أن تأتي لزيارتي وسيسرني أن أكون دليلك في سنغافورا .

كان يتحدث وكأنه أصبح في سنغافورا ، بحثت فينيلا عن كلمات تقولها ولكن كيف لها أن تقول شيئاً وأحاسيسها في هياج واضطراب كبيرين ؟ شعرت بالغثيان وكأن الحياة تنسل من بين

أصابعها . وغشى السواد عينيها .

– هيا فينيلا .. حاذري أن يغمى عليك .

سمعت صوته بعيداً بعيداً جداً .

– فينيلا ... فينيلا .. أسندي رأسك على الوسادة . أشربي قليلاً من هذا الشراب .

شعرت به يبتعد عنها بعد لحظات شعرت بأسى عند شفتيها وأن رشفت منه رشفة حتى عادت إليها الحقيقة المرة .

بادرها قائلاً :

– هل يعقل أن تصابي بمثل هذه الصدمة . < عاتبها > أنت تعلمين أن علاقتنا ماهي إلا لفترة بسيطة .

لو أنها كانت تعرف ذلك . ولكن في الواقع كانت تعلم إلا إنها تناست تلك الحقيقة في غمرة أحاسيسها . لم تكن تريد الاعتراف بها .

ولكنها الآن . والحقيقة تلك ماثلة أمام عينيها ليس أمامها من خيار إلا رؤيتها .

– أنا آسفة . < قالت هامسة > طوال اليوم كنت أعاني من توعك عام .

لم يكن ما قالته صحيحاً ولكنها لم تكن لتقبل أن يعرف مدى

الصدمة التي أصابتها من كلماته فكل أحلامها وأمانيها التي بنتها خلال الأسابيع الماضية قد ماتت في مهدها .

في الحال رسم على وجهه كل الأهتمام :

– هل هذا صحيح . آه ياعزيزتي وها أنا أخبرك بما لدي وبدون أن ألاحظ ذلك ... نعم أعتقد أنني لاحظت ذلك فور دخولي البيت .

وضع أصبعه تحت ذقنها رافعاً وجهها إليه . بدا القلق علي وجهه.

– لا أظن أنك ...

– لا .... أنا لست كذلك فأنا لا أنتظر طفلاً

فكرت أنها لا يمكن أن تلجأ إلى هذه الحيلة لابقائه بجانبها حتى وان كان ذلك حقيقة .

– حسناً دعيناً نهتم بك إذن . دعيني آخذك إلى السرير ابتسم لها . لأول مرة رأت فينيلا تلك الابتسامة .

الابتسامة التي لم تستطع حتى الوصول إلى عينيه . حتى الوسامة والسحر اللذين كانت تراهما على وجهه لم تعد ترى منهما شيئاً هل يعقل أنها كانت طوال تلك الفترة عمياء .

– لا.... شكراً جيرمي . < كانت أفكارها قد استقرت ونهضت على قدميها > لقد أصبحت أحسن . حقيقة . وسأذهب

الآن على أي حال .

– تذهبين .... تذهبين إلى أين ؟

– سأعود إلى شقتي < افتعلت ابتسامة > هناك مايجب أن أفعله . ومن المحتمل أن أقضي الليلة هناك . في الواقع أظن أنه من الأفضل أن أعود نهائياً إلى شقتي مارأيك ؟

– تعودين نهائياً ؟ < حدق فيها لفترة ومن ثم افتعل ابتسامة باردة أعتقد أنك غاضبة من أجل سنغفورة . قلت لك فينيلا سألت عن إمكانية عمل لك أيضاً ولكن ليس هناك من عمل في الوقت الحاضر على الأقل . وعلى كل حال لاأظن أن العمل هناك يهمك .. اليس كذلك .

انتظر اجابتها لبرهة . وعندما لم تبد أي استعداد للاستجابة تابع محاولاً إخفاء أنانيته وحقارته .

– أنظري إلى فينيلا . لا أظنك فكرت في يوم من الأيام أن علاقتنا هذه سيكون لها أي هدف . اليس كذلك ؟

أقصد أن ذلك كان واضحاً منذ البداية . ولم يكن من المقرر أن تستمر . وإلا ماكنت احتفظت بشقة لندن .

حدقت فيه فينيلا غير قادرة علي الاجابة . لقد احتفظت بشقة لندن . لأنها لم يكن باستطاعتها نقل جميع أمتعتها إلى شقة

جيرمي الصغيرة التي أستأجرها منذ شهرين .

وضعت يدها على رأسها .

– أنا آسفة جيرمي . لا أستطيع أن أناقشك في شيء الآن فأنا أقدر على التفكير . كل ماأعرفه الآن أنني أريد العودة إلى شقتي هذه الليلة . وغداً .....

– غداً ... ستأتين مرة أخرى وكأن شيئاً لم يكن . < فجأة أصبح صوته قاسياً > وستبدئين من حيث توقفنا وتحاولين إيقاعي في نوع من الالتزام ... الزواج مثلاً .

كانت عيناه تلمعان من الحقد والحقارة . فكرت فينيلا كيف حصل وأن أحبته ؟ كيف كانت تراه وسيماً وجذاباً .

تابع قائلاً :

– حسناً ... هذا لن يفيد ... مما لاشك فيه أني سأفتقدك . فقد كنت رفيقة رائعة طوال الآسابيع الماضية . قليلة الخبرة ولكن تعدين بالكثير < ابتسم بخبث > آسف لأنه ليس لدي الوقت لأظهر كل مواهبك . في الواقع هناك فتيات يأخذن وقتاً طويلا ليباهرن على حقيقتهن ... أليس كذلك ؟

ابتعدت عنه فينيلا وبدون أن تنبس بأي كلمة دخلت إلى غرفة النوم . جمعت بعض الحاجيات لليلة واحدة . هبطت الدرج عبرت الصالة

الصغيرة . خرجت إلى الحديقة واتجهت إلى سيارتها . لم تودعه بأي كلمة . ولم يحاول جيرمي اللحاق بها . عادت إلى شقتها . قضت ليلة مسهدة . وعادت في صباح اليوم التالي وبعد أن تأكدت من خلو الشقة لتأخذ بقية أشيائها بعد يومين .... وصلتها أخبار مقتل والديها في كندا إثر حادث قرب مدينة تورنتو .... لم تعد إلى رؤية جيرمي بعد ذلك .

الفصل الثامن

– مضت الأشهر التي تلت الحادث وكأنها كابوسٌ

همست فينيلا بتلك الكلمات وهي مستندة علي صدر روبرت .

– بدا لي أن العالم بأكمله قد انهار من حولي . كان ينتظر أن أقوم بالعديد من المهام أولها السفر إلى كندا لأرتب أمور الدفن وإجراء بعض المعاملات الرسمية حيث أن والدي ووالدتي لم يكونا كنديين ..... لقد كان كابوساً .

– لم يكن هناك من أحد يساندك في محنتك ‹ تمتم وهو يضمها بين ذراعيه › خاصة وأنك لم تفيقي بعد من صدمة جيرمي وحبك له .

– أعتقدت أنني كنت أحبة ‹ قالت بسرعة › لم يكن حباً حقيقياً ولكني لم أكن أعلم ذلك . ولم أعرف ما هو الحب إلى أن قابلتك .

بعد أن عادت إلى أنكلترا . كان علي فينيلا القيام بالعديد من الأشياء خاصة وأنها كانت تشعر بالوحدة . والحزن يملأ قلبها .

بعد أن تمت جميع الإجراءات قررت الأبتعاد فكرت أن لم يبق من شيء يمكن أن تهتم به أو من أجله . قررت الرحيل علها تبدأ

حياتها من جديد .

وقد حاولت ذلك . وضعت الأموال التى ورثتها عن والديها في البنك ورصدت مبلغاً معيناً للسفر إلى الخارج لمدة سنة قامت بجولة في أوروبا . زارت صالات المعارض . والمتاحف جلست على أرصفة الشوارع دخلت المقاهي الشعبية . تعلمت اللغات التي كانت تنقصها . تعرفت على الحياة الفرنسية والالمانية والأسبانية ولكن لم يبارحها رغم ذلك الشعور بالوحدة .

المرحلة الثانية كانت السفر إلى أمريكا كانت تحتاج إلى شجاعة كبيرة لعبور الأطلسي مرة ثانية بعد عبورها له في المرة الأخيرة زارت كاليفورنيا والأريزونا ولأنها لم تكن تستطيع البقاء بدون عمل . عمدت إلى استلام العديد من الأشغال أينما حلت مثل نادلة في مقهى . مساعدة في محل . عملت أي شيء وكل شيء في سبيل التخلص من الشعور بالحزن . ومن حقيقة أنها أصبحت وحيدة في هذا العالم .

على الرغم من وحدتها . لم تستطع تكوين أصدقاء حميمين . كانت دائماً تطاردها صورة جيرمي وخيانته لها . كانت متأكدة أنها لن تستطيع تحمل خيانة أخرى .

أخيراً . عادت إلى الوطن بعد أن تأكدت من أنها لن تجد السلام

إلا في بلدها أنكلترا . وإلا إذا عادت إلى بلدها وواجهت مخاوفها وجهاً لوجه والانتصار عليها .

لقد هربت لوقت طويل وأن لها العودة .

لقد صدمها المبلغ المطلوب لشقة في لندن . ولكن المكتب العقاري أكد لها أن المبلغ المطلوب يعتبر مقبولاً بالنسبة للأسعار الموجودة في المدينة والضغط الحاصل علي البيوت . اقترح عليها المكتب مشاركتها أحدا ما في البيت خاصة وأنه مؤلف من غرفتي نوم إلا أن الفكرة لوحدها أشعرت فينيلا بالخوف والقلق . فبعد سنتين من السفر والغربة لم تكن تريد شيئاً في هذا العالم أكثر من حاجتها للوحدة خاصة بعد قضاء يوم عمل كامل في الغابة البشرية التي آلت إليها مدينة لندن . لم تكن لتسمح لأحد بأن يحطم هذا السلام وهذه الوحدة .

اتجهت إلى النافذة ونظرت إلى الخارج . كانت الشقة ضمن عدة بيوت قديمة تقع داخل سور يضم العديد من البيوت تحيط بها الحدائق . كان ذلك في الماضي إلا أن الحديقة الآن أصبحت مشاعة للجميع . انتشر الأطفال هنا وهناك وجلست الفتيات اللواتي يعملن في المكاتب القريبة على العشب يتناولن وجباتهن الخفيفة .

– سأخذ هذه الشقة ‹ القت نظرة سريعة إلى الشقة › سأصنع من هذا المكان بيتاً رائعاً لي .

نظر إليها الشاب مستغرباً . لم يكن معتاداً على الزبائن الذين يتخذون قراراتهم بهذه السرعة .

– تقصدين أنك ستأخذينها بالسعر المطلوب ؟

– لا .....

ضحكت فينيلا . صحيح أنها بسيطة إلا أنها لم تكن ساذجة في شيء . طلبت تخفيضاً مناسباً وبطريقة ذكية .

– حسناً ... سأتصل بصاحب البيت وأقدم له عرضك وسأبلغك بالنتيجة . هل تودين أن نقوم نحن بإجراءات الشراء .

– حسناً .

بعد أن أتمت حل هذه المشكلة . التفتت إلى إيجاد عمل . قررت البدء من جديد . بناء حياتها من جديد ولكن بدون تهور وتسرع وبعد تفكير طويل .

كان قد مضى عليها ثلاثة أسابيع منذ أن انتقلت للعيش في شقتها الجديدة . عندما شاهدتها جينا عند درج البيت ودعتها لحضور حفلة في بيتها .

– حفلة ... لست متأكدة .

كانت ماتزال تخاف من تكوين صداقات جديدة خاصة بعد أن فقدت الرجل الأول الذي أحبته وبعد أن فقدت والديها . لم تكن تريد المزيد من الألم .

نظرت إلى الفتاة التي أمامها . ارتبكت لم تكن لتستطيع أعطائها الجواب اللازم .

– أرجوك أقبلي . ‹ كانت جينا جارتها وأماً لولدين شقيين جداً . الأول في السادسة والثاني في الرابعة من عمره كانا يملآن الحديقة بصراخهما الدائم › إنها حفلة خاصة للترحيب بأخي لقد أمضى في أستراليا أكثر من أربع سنوات وهو لايعرف أحداً في لندن . أرجوك أن تأتي . بالاضافة إلى أنه حان لنا أن نتعرف عليك . فقد مضى عليك في الشقة شهر تقريباً وأشعر بالذنب نحوك .

– حسناً ‹ ضحكت فينيلا بمرح › يسرني أن آتي ، ومتى ستكون الحفلة .

– غداً مساءً . تعالى في الثامنة . سنكون حوالي عشرة أشخاص . الذين يسكنون في الجوار . بالاضافة إلى أخي وصديق له سيأتي معه . لقد أعددت طاولة مفتوحة . لذلك أرجو ألا تتناولى شيئاً قبل المجيء . لدينا الكثير من الطعام ، وإذا زاد

شيئاً فسيتولي العفاريت الذين عندي القضاء عليها في اليوم التالي .

ابتسمت لفينيلا واختفت في شقتها . تاركة فينيلا تتابع الصعود إلى شقتها حاملة معها الأغراض التي كانت معها بالإضافة إلى قلق تولد من خلال حديثها مع جينا . " ولكن لم القلق . فما هي إلا حفلة > هكذا فكرت فينيلا حتي أنها لم تكن مجبرة على البقاء لنهاية الحفلة إذا أرادت ذلك أن تغادر باكراً . كان بإمكانها الظهور في البداية وقضاء ساعة وبعد ذلك الاعتذار والانسحاب .

إذن ... لماذا ينتابها الإحساس بالقلق وكأنها حياتها التي حرصت على المحافظة عليها خالية من القلاقل كانت على وشك أن تصبح رأساً على عقب ... مرة ثانية .

– هذه جارتنا الجديدة الآنسة فينيلا سوتكليف .

<لست جينا ذراع فينيلا لتنبهها إلى الرجل الطويل الأسمر الذي كانت تريد أن تقدمه لها > فينيلا ... هذا صديق أخي مايك . أنه البروفسور روبرت ميلبورن ... أو لنقل أنه البروفسور روبرت ميلبورن .

– ولكن لم الألقاب ... فهذه حفلة . ليس حفلة رسمية < كان صوته عميقاً ومؤثراً . ولكن بدون لكنة من اللهجة الاسترالية . كما

توقعت فينيلا .... > أنا لست عالماً ولكن رجل تاريخ التقطني مايك وأنا في استراليا . وعدنا والتقينا هنا في لندن .... وماذا عنك ؟

كانت عيناه تحدقان بها باصرار .

– أنا

نظرت إليه بارتباك . كانت تعاني من أغرب الأحاسيس والمشاعر نعم . لقد مرت من قبل بمثل تلك الأحاسيس ولكن لم تكن بنفس القوة تذكرت لقاءها الأول بجيرمي .

" لا ... لا... ليس مرة ثانية . لقد سعيت إلى الاستقرار في حيلتي وحصلت عليه ولا أريد أن أفقد هذا الأحساس " . كانت تلك الفكرة أول ماتبادر إلى ذهن فينيلا .

كان روبرت ميلبورن مايزال يحدق فيها . بحثت عن طريقة للهرب ولكنها لم تجد .

– نعم ... بالنسبة للتاريخ القريب . علمت من جينا أنك انتقلت إلى شقتك مؤخراً

– هذا صحيح . الشقة التي فوق هذه .

– أظن أن ذلك أفضل من السكن في الشقة التي تحت هذه خاصة وأن لجينا ولدين غاية في الشقاوة . أظن أن ساكني تلك الشقة مصابون بالصمم .

– < ابتسمت فينيلا > لا أظنهما في غاية اللطف ذلك الشقيين .

– في بعض الأحيان ...إذن . أين كنت تقيمين قبل الانتقال إلى شقتك الجديدة .

– ليس هناك من مكان محدد . لقد مكثت حوالي الثلاث سنوات في الخارج .

– هذا يبدو مسلياً .

شعرت فينيلا بقوتها للحظة إلا أنها كانت تقوم بجهد كبير لذلك . ولكن لو أنها تجد مهرباً من ذلك الموقف وفي ذلك الرجل ولكنهما كانا يجلسان في زاوية الغرفة والمهرب الوحيد نافذة فرنسية واسعة . أخذت نفساً عميقاً في محاولة للتخلص من التوتر الذي كان يهيمن عليها .

– ليس كثيراً . فلم أكن أعلم أي شيء على وجه الخصوص اطلعت على صالات العرض والمتاحف ومن ثم ذهبت إلى أمريكا لفترة من الزمن .

– تتحدثين عن تلك الرحلات وكأنها نزهة أو مشوار تسوق ممل . لابد أن هناك أشياء أكثر متعة .

نظرت فينيلا إلى عينيه كانت تحاول أن تعترض ولكن الانطباع

الذي كان فيهما جعلتها تردد حاولت قول شيء إلا أنها توقفت . شعرت بتوعك كبير . امتلأت عيناها بالدموع . ظهر الأهتمام على وجه روبرت وضع يدها تحت مرفقها

– فينيلا .... هل أنت متوعكة .... أنظري يمكننا الخروج من هنا < قادها عبر النافذة الفرنسية العريضة إلى الحديقة حيث كان الجو أكثر برود وهدوءاً أخذت نفساً عميقاً لعدة مرات . ما أن تحسنت حتى نظرت إليها بابتسامة امتنان .

– شكراً لك . لقد أصبحت أحسن حالاً الآن . لقد شعرت بالحرارة فجأة .

كان ينظر إليها بإصرار . انتبهت إلى أنه لم يصدقها .

– هل هناك من شيء أزعجك ؟ شيء قلته لك مثلاً أو شيء قلتيه أنت بنفسك . ماذا كان فينيلا ؟ هل تعتقدين أن بإمكانك إخباري؟

هزت رأسها وامتلأت عيناها بالدموع مرة أخرى .

ماذا كان يحدث لها ؟ بعد كل تلك السنوات من العواطف المتبلدة . تسمح لتلك الدموع بالسيطرة على تماسكها .

لماذا تشعر فجأة بالحاجة إلى البكاء وإخراج كل مايعتمل في صدرها من أحزان . هل السبب تلك العينين الرماديتان المحدقتين

فيها بدفء ؟ هل السبب ذلك الصوت الذي مس شغاف قلبها .
أخذت يديها إلى وجهها لتفاجأ به يحتضنها بيديه المرتجفتين .
نهضت بارتباك رافعة إليه نظرها . كانت عيناها تحمل كل الآلام المكبوتة خلال السنوات الماضية . الشعور بخيبة الألم من الحب الأول .
نظر إليها روبرت باهتمام أطلق يديها ولكنه قربها منه واحتضنها بين ذراعيه .
– سآخذك إلى شقتك فينيلا < قال بسرعة > لا تقلقي بشأن جينا . سأفكر بعذر أقوله لها . ويوماً ما وفي القريب العاجل . سنتقابل ونتحدث . فلدينا الكثير لنقوله .
أعتقد أنك توافقني الرأي أليس كذلك ؟
لم تقل شيئاً فقد كانت دقات قلبها تتسارع . وعلى كل حال لم يكن لديها من شيء تضيفه أو تقوله . بينما كان يقودها إلى شقتها عبر الحديقة شعرت بأن هذا اللقاء كان مقدراً له أن يحدث وأن حياتها قد بدأت لتوها .
لم يكن بيدها شيء تفعله . فمنذ اللقاء الأول مع روبرت وكما حصل لها في المستشفى أثناء مباراة الكرة . شعرت فينيلا أن هذا الرجل سوف يكون له شأن في حياتها بطريقة أو بأخرى فعيناه.

وشفتاه وقوة خطوط وجهه أنبأتها أن ذلك الرجل لم يكن عادياً .
ففي الليلة الأولى التي رافقها فيها إلى شقتها . أنتابها القلق والتوتر خشيت أن يطلب منها البقاء لفترة طويلة . كيف كانت ستتصرف في مثل هذه الحالة . كان هناك إحساس مواز لإحساس القلق والخوف . إحساس لم تكن تدري كنهه في ذلك الحين ولكنه كان يملأ قلبها انفعالاً وتأثراً .
ولكن روبرت لم يقترح البقاء ولم يطلبه . قادها إلى غرفة الجلوس . ألقي نظرة سريعة على محتويات الغرفة الأنيقة ساعدها علي الجلوس علي الأريكة الكبيرة . ومن ثم وقف يحدق فيها لفترة وعيناه مليئتان بالاهتمام .
– تبدين شاحبة . سأعد لك شراباً ساخناً . مارأيك ؟
– لا ... أرجوك ليس هناك من حاجة لذلك .
< ولكن روبرت أسكتها بحركة من أصابعه على شفتيها >
حسناً في هذه الحالة أفضل فنجاناً من الشاي . ولكني أستطيع أن أقوم بذلك . فأنا ....
عبر روبرت الغرفة متجاهلاً إياها .
– هل هذا المطبخ ؟ أظن ذلك ... لا . لا لا تتحركي فأنا باستطاعتي أن أضع الماء على النار وإعداد الفناجين .

كان صوته يأتيها من المطبخ عبر الباب المفتوح . سمعت صوت فرقعة فناجين الشاي وتذويب السكر فيها .

– أظن أنك لاتمانعين فيما إذا أخذت معك فنجاناً من الشاي . ظهر عند الباب يحمل فناجين من الشاي التي يتصاعد منهما البخار .

– هل أقول لك شيئاً . لقد بدأ المشروب الذي قدمته لنا جينا يأتي بمفعوله ولا أود أن أشرب أي مشروب روحي هذه الليلة . راقبته فينيلا وهو يضع الفناجين على الطاولة المنخفضة يناولها فنجاناً ويأخذ لنفسه الآخر . وأخيراً أختار لنفسه المقعد المقابل لها وجلس عليه يرتشف الشاي . فكرت فينيلا لو كان جيرمي مكانه . لكان اختار الجلوس إلى جانبها ولم يكن ليضيع هذه الفرصة .

– هل تودين التحدث إلى عن الشيء الذي أزعجك وأثار الحزن لديك < سألها بعد لحظات > هل هو شيء قلته لك ؟

هزت فينيلا رأسها نفياً . لا .. في الواقع لم يقل أي شيء فقط الطريقة التي نظر فيها إليها . ذلك الشعور المفاجيء الذي تولد داخلها . خيبة الأمل . تمنت في تلك اللحظة لو أنها قابلته منذ سنوات عديدة . وقبل التعرف نهائياً إلى جيرمي وقبل أن تغلق قلبها في وجه الحب .

– لا ... لم يكن هناك من شيء . فقط لحظة حمق أو سخافة من المحتمل لأنني متعبة .

ابتسمت له لتبرهن له عن صدق أقوالها . تغير الأنطباع على وجه روبرت . أبعدت نظره عنها بسرعة تخيلت للحظة أنها رأت فيهما الحنان . ولكن هذا غير معقول . لقد تقابلا لتوهما . كيف له أن يشعر نحوها بأي شيء ماعدا الاهتمام العابر ؟

– حسناً < قال بعد لحظات على الرغم من أن فينيلا كان لديها الشعور أنها ستبكي مرة أخرى بسبب اللطف والحنان الذي كان يعاملها لهما > لن أضغط عليك أكثر من ذلك . ولكن في يوم ما . آمل أن يصبح لديك ثقة نحوي . ثقة تدفعك إلى إخباري . سنتقابل ثانية . أليس كذلك ؟

– هل سنتقابل ؟ < همست وبدون أن تجرؤ للنظر إليه > .

– نعم . < كان صوته حازماً وواثقاً > وسيكون ذلك قريباً جداً . غداً ... ؟ لا لدي موعد هام لا أستطيع تأجيله إذن فلندع ذلك لبعد الغد . هل استطيع دعوتك على العشاء < أنتظر إلي أن تتمكن فينيلا من السيطرة على قلبها المضطرب وأضاف > أرجوك؟ كان رجاؤه حاراً وكأنه كان يتوقع رفضها وفي نفس الوقت كان يتمنى مخلصاً قبولها لدعوته . دقت أجراس الخطر في أذن فينيلا

. في تلك اللحظة لم يكن بوسع فينيلا أن ترفض لذلك الرجل أي طلب .

لم يكن الأمر يحتمل التسويف أو المماطلة . قالت لنفسها إنه عشاء واحد ... وماذا يمكن أن يحدث لها ؟ فقط ليلة من العمر ولكن في قرارة نفسها كانت متأكدة أن ماتشعر به لن يتوقف بعد تلك الليلة مر ذلك اليوم في ترقب لتعود بعد العمل إلى شقتها . وقفت فترة طويلة أمام المرآة وأمام الملابس تفكر ماذا تلبس أخيراً أختارت ثوباً تركوازياً يظهر جمال جسمها الرشيق وفي نفس الوقت يظهر رونق شعرها الأسود الفاحم .

لن تسمح في حال من الأحوال أن يعرف روبرت كم عانت من الحيرة في اختيار اللباس والمكياج المناسب لهذه الليلة وكم كانت قلقة من ذلك اللقاء .

عندما وصل إلى شقتها كانت بانتظاره بدت وكأنها فتاة اعتادت مثل هذه المواقف واعتادت أن يأتي الشبان لدعوتها إلى العشاء لاحظت انجذابه إليها من النظرة الأولى وهي تقوده إلى غرفة الجلوس . لدهشتها كانت تواقة إلى معرفة رد فعله ورأيه فيها . أخذت منه الزهور وشكرته .

– إنها جميلة . القرنفل زهري المفضل . سأضعها في الماء

حالاً أرجوك تفضل وخذ لنفسك كأساً . اتجهت إلى المطبخ لتعود بعد لحظات ومعها مزهرية . وجدته منهمكاً في صب كأس من الشراب البارد .

– ألا تفضل نوعاً أقوى .

– ليس هذه اللحظة . شكراً . سنتناول بعضاً منه على العشاء . وعلى أن أقود السيارة .

استقرت عيناه عليها لفترة .

– تبدين أفضل حالاً هذا المساء .

– شكراً لك .

بدأت بترتيب الزهور . مدركة الأحمرار الذي كسا وجهها وكأنها سمعت لتوها مديحاً جريئاً . بادرته قائلة :

– في الواقع لم أكن أعاني من شيء ذلك المساء . فقط كنت مجهده قليلاً . ذهبت إلي جينا واعتذرت لها وشكرتها على الدعوة . قالت لي إن السهرة انتهت باكراً .

– لاأدري . فأنا لم أعد إلى الحفلة .

كان هناك صمت لم يطل . وضعت فينيلا المزهرية على طاولة صغيرة التفتت إلى روبرت ، رأته يحدق في الصورة المعلقة فوق الموقد مما أتاح لها الفرصة للتحديق فيه لأول مرة .

كان في الواقع جذاباً . أكتاف عريضة . طول فارع . خصر نحيف مع عضلات بارزة وكأنه رياضي محترف . وليس أكاديمياً يعمل في مجال التاريخ .

استدار إليها فجأة وكأنه أحس بنظراتها الفاحصة ما أن التقت نظراتهما حتى تشنجت وأرادت إبعاد نظرها عنه بأي طريقة إلا أنها لم تستطع . أستقرت نظراتها عليه وشعرت بالحرارة تحرق وجهها وأمعاؤها تتقلص من الداخل وانتقل التوتر إلى كافة انحاء جسمها لم تتحمل كثيراً ذلك الموقف نهضت بسرعة . أغلقت النافذة ، وضعت كتاباً في المكتبة وبحثت عن حقيبة يدها .

– هل تريد مزيداً من الشراب ؟

– أصبح صوتها غريباً عليها . عضت على شفتها السفلى ولعنت نفسها لماذا تسمح له أن يؤثر عليها هكذا ؟

– لا شكراً . إذا كنت مستعدة يمكننا أن نذهب .

تنحى لها قليلاً لكي تمر من أمامه . كان جسمها يرتجف من الأفعال لدى مرورها بجانبه . كانت متأكدة من أنه يراقبها باصرار طلبت من ربها أن تمر هذه الأمسية على خير ولن تكرر التجربة مرة أخرى أبداً .

كانت سيارته متوقفة أمام الباب . فتح لها الباب ودخلت كالاميرة لو

كان جيرمي مكانه . لقام بنفس التصرف إلا أنه كان يبدو مصطنعاً وكأن يحتفظ باللطف والكياسة في خزانة يخرجها وقت الحاجة وأثناء المناسبات . أما روبرت ميلبورن فتبدو من صميم شخصيته نمت معه وترعرعت معه .

أخذها إلى مطعم بجانب دا ر الأوبرا . دخلوا إلى شارع جانبي ودخلوا إلى المطعم . كانت الأضواء خافته استغرقت فينيلا وقتاً لكي تعتاد على المكان . لاحظت صوراً عديدة لفنانين مشهورين معلقة علي الجدران وعلى كل طاولة كان هناك شمعة .

– تلك صور ممثلين ‹ اتجها إلي طاولة منزوية قليلاً › هذا المكان خاص بالمسرحيين والكتاب والعاملين في التليفزيون .

نظرت فينيلا حولها ولكنها لم تتعرف على أحد . في الواقع لم يكن لديها في الماضي وقت لمشاهدة التليفزيون أو الذهاب إلى المسارح . بدلا من ذلك أعادت انتباهها إلى الوجبة المقدمة لها .

– تبدو لذيذة . شوربة الفاصوليا . والسلطة التي أحبها كل شيء لذيذ وأحبه . شكراً لك على هذه الدعوة وعلى المكان طبعاً إنه هادىء .

– أعتقدت أنه ربما سينال اعجابك ‹ قال بهدوء › إنه مريح لم أكن أريد الذهاب إلى أي من المطاعم الفخمة . سنؤجل ذلك إلى

وقت لاحق .

– وقت لاحق ؟ . < خفق قلبها >

– أجل .. أقصد في المرة الثانية . لابد وأن هناك مرات أخرى . أليس كذلك فينيلا ؟

– إذا كنت تريد ذلك < تمتمت > ولكننا بالكاد نعرف بعضنا ..

– ولهذا نحن بحاجة إلى ذلك اللقاء . لنتعرف علي بعضنا <مد يده عبر الطاولة وأمسك يدها > فينيلا أنا لست أفلاطوناً . لقد كان لي العديد من العلاقات في السابق . ولكني لم أسخر من أي إمرأة ولم أسمح لواحدة منهن أن تفعل ذلك .... هل يريحك هذا في شيء؟

– أنا لا أدري ماذا ...

– لاتقولي إنك لاتدرين ماذا أقصد < بدا غاضباً > لتدعينا نتصرف بتظاهر كاذب . أعرف أنك تبدين خائفة مني . ولكني أعدك أني لن أكون ذئباً مفترساً . ينتظر الفرصة لينتقض عليك . ولن أنهي هذه الأمسية بالطلب المعهود في مثل هذه الحالات < تجاهل امتقاع وجنتيها > فقط أود أن يتاح لنا التعرف على بعضنا البعض بشكل أكبر وأعمق ... إذا كان هذا ممكناً ....

لم تسأله فينيلا مرة أخرى عما يقصده فقد أصبح واضحاً لديها

مايقصده . وقد أصبح واضحاً لديها شعورها نحوه في هذه اللحظة كانت يداها ترتجفان تحت يديه .

أخذت تحدق في الوجبة الموجودة أمامها إلا أنها لم تكن ترغب أي شيء . لم يكن في ذهنها إلا شيء واحد . لقد دخل روبرت إلى حياتها وأصبح جزءاً منها .

الفصل التاسع

رويداً رويداً بدأت فينيلا بالتعود على روبرت والثقة به كان يعاملها بلطف ولكن بجزم مانعاً اياها من التفكير بالتراجع عما كان يخطر لها أحياناً أن تفعل . ولكنه كان يترك لها المجال مفتوحاً لعدم الإحساس بالضغط والأسر . كان متأكداً أنه إذا شعر أن لديها الرغبة الحقيقية في الابتعاد عنه فلن يتردد في أن يطلق حريتها.

ولكن لم تكن تريد ذلك . مع انتهاء الأسبوع أصبح روبرت كل شيء في حياتها لم تعد تستطيع الاستغناء عنه . كان دائم الحضور . كانت لاتستطيع البقاء وحيدة أصبحت تشعر بوطأة الوحدة إذا غاب عنها فمنذ أن أنهت علاقتها مع جيرمي لم تفارقها تلك الوحدة أبداً فقد أغلقت قلبها في وجه أي علاقة صداقة أو حب .

كان روبرت يوقظهامن ذلك السبات ويحاول اعادتها إلى الحياة من جديد ولكن ببطء وإصرار .

ذهب معاً إلي المسارح والمتاحف وصالات العرض ، سارا تحت المطر وأثناء هبوب الرياح . تمشياً بجانب النهر وفي الغابة القريبة من لندن .

تحدث لساعات حول الكتب التي قرأها والأفلام التي رأياها

والموسيقى التي يفضلانها . اكتشفا أن أنواقها لاتتشابه دائما . كان يصلان إلى نقطة حرجة في بعض مناقشاتها لبعض المواضيع ... إلا أن التوتر مايلبث أن ينجلي بضحكة إلا أن كان هناك العديد من نقاط التشابه التي أتاحت الفرصة فخلق مشاعر عميقة فيما بينهما .

تكلما عن حياتهما السابقة . عن طفولتهما عائلتيهما وأصدقائهما تحدث روبرت إليها عن بيت العائلة في كوتسوردز والذي ورثه إثر وفاة والده منذ ثلاث سنوات . والذي قرر أنه سيكون مقره أثناء تأليفه للكتاب القادم .

بعد ذلك أصبح بمقدور فينيلا أن تحدثه وباطمئنان حول علاقتها بجيرمي .

– أتساءل الآن ماالذي أعجبني فيه < قالت بأمانة > كان ذا مظهر جيد جذاباً مؤدباً وقد كنت في حينها بريئة لا أستطيع التمييز بين الصح والخطأ . لقد استغلني لتسليته إلى أن تحين الفرصة المنتظرة أو الخطوة التالية . < أحمرت خجلاً من ذلك الاعتراف إلا أنها قالت > حقاً لقد كنت غبية سافر بعدها إلى سنغفورا وتركني وحيدة .

– ولكنك شابة صغيرة < أمسك يدها بدفء > كلنا نخطىء

في وقت من الأوقات .

شيء في صوته دعاها للنظر إليه

– أنت أيضاً .

أومأ لها بالموافقة .

– ليس هناك من هو معصوم من الخطأ . فينيلا ... نعم... مررت بلحظات مثل تلك أيضاً . إلا أن خطيبتي قادتني إلى الزواج لا تقلقي < أمسك يدها عندما لاحظ اضطرابها > لقد انتهى كل شيء الآن . لقد كان ذلك منذ عدة سنوات .

صمت لفترة . ونظر إلى الفراغ وكأنه يود أن يتذكر الماضي البعيد . انتظرته فينيلا وهي تراقب أيديهما المتشابكة لدهشتها شعرت بالصمت يعم المكان . ألقت نظرة إلى ما حولها . كان معظم الزبائن قد أنهوا عشاءهم وأنصرفوا كان النادل قد أتاهم بالقهوة وانصرف . سمعته يقول :

– كنا شباباً أيضاً . وعنيدين جداً . وواقعيين في الحب كان مقدراً من البداية ولكننا لم نلحظ ذلك طبعاً . هل تعرفين أن من أكثر الأخطاء التي كانت موجودة في العقد الأخير هي اعتبار سن الثامنة عشرة للنضوج . نعم كنا في الثامنة عشرة من عمرنا . لم يستطع أحد أن يثنينا عما كنا نريد . وهكذا تزوجنا .

– في الثامنة عشرة من العمر ؟

– كنا قد دخلنا الجامعة لتونا . كان جنوناً هذا الواقع حذرنا الجميع من تلك الخطوة . ولكننا كنا في غاية العند والجنون فلم نستمع إلي أحد .

– إذن .... ماذا حدث؟

– وماذا تظنين ؟ خلال سنة واحدة ظهرت التصدعات على تلك العلاقة وخلال سنتين لم يعد بالإمكان إصلاح هذه التصدعات لأنها أصبحت شديدة العمق . قابلت هيلين شخصاً آخر . وانتقلت للعيش معه . وهكذا انتهت العلاقة . لحسن الحظ كان من الممكن الحصول على الطلاق بسهولة وذلك بفضل القوانين الجديدة في ذلك الوقت افترقنا بشكل ودي وبكثير من الحزن ولكن بعقلانية أكثر . على الأقل كنت أذكى منها . لأن هيلين تزوجت مرتين وربما تزوجت للمرة الثالثة . لاأدري . فأنا لم أسمع عنها منذ سنوات . ولكني كنت مثلك . بقيت وحيداً لعدة سنوات .... لن أقول إنه لم يكن هناك من نساء في حياتي ... ولكن لم تكن هناك واحدة ذات اهتمام خاص هل تفهمين ذلك ؟ < كان يداعب يدها بأصابعه بلطف>

– نعم ... نعم ... أعتقد أنني أفهمك .

– دعينا نذهب .

أخذها إلى البيت . كان البيت يغرق في الظلام حيث إن جينا وزوجها وطفليها كانا قد انتقلا إلى الريف والساكنين الجدد لم يكونوا قد وصلوا بعد .

في الداخل . اتجهت إلى المصباح الموجود في زاوية غرفة الجلوس كان روبرت يقف عند الباب بنظرة منها دعته إلى الدخول . والجلوس إختار مكاناً ملاصقاً لها كانت تشعر أن على لسانه الكثير من الكلمات إلا أنها لم تجرؤ على التكلم أو حتى النظر إليه .

– فينيلا .....

شعرت وكأنها تريد أن تهرب إلى أن قدميها لم تطاوعها على شيء وفي الواقع لم تكن ترغب في الهرب بل لم تكن تعرف كيف تتصرف فى داخلها مشاعر متضاربة ظنت أنها قد ماتت منذ زمن بعيد .

– فينيلا ... هل تدرين ماذا تعنين لي ؟

رفعت إليه نظرات كلها ترقب وانتظار .

ماذا كانت تنتظر ؟

أن يقبلها أن يقول إنه يحبها وسيتزوجها .

قرب إليها وضمها بين ذراعيه . كانت تشعر بأحاسيس عميقة لم

تكن قد خبرتها من قبل حتى عندما كانت تعتقد أنها واقعة في حب جيرمي .

- روبرت .

- نعم ياعزيزتي ..... هناك الكثير لنقوله ولكن ليس الآن لاتقلقي لن أغير رأيك ... ولكني أود أن أعطيك فرصة للتفكير . لعلك تودين تغيير رأيك . ولكني آمل ألا يحدث هذا .. ولكنك على كل حال أنت في حاجة إلى هذا الوقت .

فينيلا .... صدقيني أنت في حاجة للتفكير .

أومأت برأسها بالموافقة فقد كانت تعلم أنه على حق . فقد مرا كلاهما بتجربة مرة . وعليها أن يختبرا حبهما خطوة خطوة وهذا ماكان يفكر به روبرت تماماً .

- سأتركك الآن < قال بنعومه > ولكني لن أستطيع رؤيتك في الغد ولكن بعد غد . سأتصل بك في الوقت المعتاد . سنتعشى في مكان خاص جداً وبعدها سنتكلم .

تذكرت فينيلا ذلك الوعد باللقاء بعد عدة أشهر من أين لها أن تعرف أنها بمقدار لهفتها بذلك اللقاء كانت ستواجه نهايتها المرعبة. حتى الآن وهي قابعة بين ذراعي روبرت وجدت أن من الصعوبة تركيز تفكيرها ومعرفة ماحدث بالتفصيل ولكن كان لابد

من أن تعيش تلك اللحظات من جديد بكل تفاصيلها عندها فقط ستتمكن من طردها من ذاكرتها ومحاولة نسيانها والاستمرار في حياتها .

كان يوما دافئاً مشمساً كانت فينيلا قد استيقظت باكراً كان قلبها يخفق بشدة نظرت من النافذة ، شعرت كأن الطبيعة تشاركها فرحتها باللقاء المنتظر .

لقد قال روبرت إنهما سيتكلمان . ولكنها كانت تعلم أنها ستحصل على أكثر من الكلمات التي وعدها بها فالليلة ستتخلص من ذكرى جيرمي وستنفض عنها وعن حياتها غبار السنوات الماضية التي قضتها وحيدة . حيث سيأخذها روبرت ويطير بها إلى السماء حيث النجوم وحيث السعادة التي لاحدود لها .

حمدت ربها لأن يومها كان مليئاً بالعمل علها لاتفكر كثيراً ويمضي الوقت سريعاً . كانت كل فترة وأخرى تختلس النظر إلى ساعتها .

وأخيرا حلت الساعة الخامسة . ابتسمت مودعة صديقاتها واتجهت بسرعة إلى شقتها استعداداً للقاء روبرت أخذت دشاً وارتدت ثوبها الذي اشترته بالأمس أكملت استعداداتها أمام المرآة وأطمأنت إلى جمالها وملائمة الثوب على جسمها . ولكنها لاحظت في عينيها الكثير من الخوف والقلق .... لماذا؟

فروبرت غير جيرمي . إنه لطيف . صبور . روبرت هو الرجل الذي تحبه والرجل الذي ستحبه دائماً .

قفز قلبها من مكانه لدى سماعها لرنين جرس الباب .... لقد وصل .... والسهرة قد بدأت .

تحول المكان الخاص الذي وعدها به لتناول العشاء إلى مطعم فاخر حيث حجز طاولة منعزلة بعض الشيء . ظهر النادل وقدم لهما الطعام وانصرف . ولم يعد يظهر لهما إلا إذا كانا بحاجة إلى شيء ولهذا بقيا لوحدهما تماماً .

لم تعد فينيلا تتذكر ماالذي طلباه في تلك الليلة شيء له علاقة بالسمك . ولكنها كل ماتناولته كان لذيذاً مادامت تجلس مع روبرت .... تذكرت أنها قالت ذلك لروبرت

– فكرت خلال اليومين الماضيين ؟

سألها بينما كان يشربان القهوة أنا لم أفكر في شيء عدا ذلك . فأنت تعلمين ما سأطلبه منك أليس كذلك ؟

صمتت فينيلا للحظة . الآن وقد حانت اللحظة الحرجة والمهمة في حياتها . شعرت بالخوف في الاستمرار . تمنت لو أن الوقت يتوقف عند تلك اللحظة وروبرت ينظر إليها بتلك الطريقة لأنها ما أن تنطق بكلمة موافقة فسيتغير كل شيء . وربما سيتركها بعد مدة

وإلى غير رجعة .

– فينيلا .

– نعم روبرت ..... أعرف

تماسكت أيديهما على الطاولة . شعرت بقلبها يكاد يخرج من مكانه . إحساس بالدفء والسعادة نبع من داخلها .

نظرت إلى روبرت . وأدركت ألا أحد غير روبرت في هذه الدنيا . وأن الحياة لهما .

– أرجوك ياروبرت خذني إلي البيت .

دخلا إلى البيت . حيث كان القمر يدخل بنورة إلى غرفة الجلوس . لم يجدا داعياً لإشعال الضوء . جلسا متقاربين .

انتابتها رعشة كبيرة عندما وصلت إلى تلك المرحلة من ذكرياتها قربها منه روبرت وحثها على متابعة التذكر . ولكنها كانت تعلم أن ماسيأتي كان رهيباً .

كانا جالسين على الأريكة يتحدثان ويبثان حبهما لبعضهما . لم تكن تشعر بأي شيء إلا بحب روبرت ،عواطفه الملتهبة . كان يقبلها بحب بالغ .

تابع كلماته لها حوار وقبلات محمومة .

– فينيلا .... أنا لاأطلب ماتفكرين به فأنا لاأريد أن ....

- ولكني موافقة . همست له بصوت منخفض

- أنا أطلب الزواج منك وليس كما تتصورين ... هل تفهمين ذلك؟

- أه ... روبرت سأتزوجك غداً إن أردت .

ضمها إليه . فجأة سمعا وأحسا بحركة بالقرب منهما تنبها للحظة حيث ظهر ثلاثة رجال من الظلال . كان يضحكان بشدةوبصوت مرتفع . نهض روبرت لمواجهتهم إلا أنه وقع على الأرض أثر ضربة وجهها إليه أحدهم بآلة في يده .

وتكاثر عليه الثلاثة واشبعوه ضرباً . كانت فينيلا تنظر إليهم وكأنها قد فقدت القدرة على النطق أو الحركة .

كانت الأشكال الثلاثة تتحرك بالغرفة بوحشية تامة حتى فقد روبرت القدرة على النهوض من الأرض . أمسكت تمثالا صغيراً كان موجوداً بجانب المصباح ورمته علي أحدهم الا أنها لم تصب الهدف . ولم تجن شيئاً إلى أن تنبه الرجال إلى وجودها شاهدت أضخمهم يتجه إليها والابتسامة على وجهه لم يكن واضحاً تماماً . حيث كان يقف عكس النور القادم من النافذة . أمسكها بقوة من كتفيها .

- أيتها الكلبة الصغيرة ... دعونا نري ماذا لدينا هنا أضاء

المصباح القريب منها . انزعجت فينيلا من الضوء المفاجيء الذي غمر الغرفة . ألقت بنظرها علي روبرت ورأته ملقيا على الأرض بدون حركة . لم تفكر كثيراً . فقد شعرت بيدي الرجل تعملان في شد ثوبها .

- لابأس فصديقك يغط في نوم عميق . أظن أكثر من صديق أليس كذلك .

- أرجوك ....أرحل .

- وبعد ذلك تتصلين بالشرطة أليس كذلك ؟ لا لا أظن أنها فكرة سديدة . على كل حال . < أتجه بنظره إلى الرجلين اللذين كان يقفان بجانب روبرت > لم نكن نتوقع أن نجد إمرأة هنا . أليس كذلك ؟ .

نظرت فينيلا إلي علائم السرور التي ظهرت على وجه الرجلين شعرت بالخوف يزحف إلى جميع أنحاء جسمها . أنكمشت على نفسها .

- لا ... لا أرجوك . < كانت تعلم أنها بذلك كانت تزيد سرورها .

بيأس حاولت أن تستنجد بروبرت الذي كان مايزال ملقياً على الأرض بلا حراك . شعرت بالرجل يقترب منها أكثر . ولم يعد لهما

من أي أمل في النجاة . وهنا توقفت الذكريات .

الفصل العاشر

كانت ترتجف من تأثير تلك الذكريات وتلك الليلة المرعبة دفنت رأسها في صدر روبرت علها تبعد صور تلك اللحظات قربه منه أكثر . بقيا هكذا لفترة طويلة إلى أن أسترخى جسمها المتوتر . انتظم تنفسها واستعدت لمواجهة ماتبقى من أحداث .

– ماذا حدث بعد ذلك . < سألته بصوت منخفض .. ماذا فعلوا بنا بعد ذلك . لا أستطيع أن أتذكر أي شيء ماعدا وأنا أنظر إليه وأنت مستلق على الأرض مع معرفتى بعدم قدرتك علي مساعدتي .... بعد ذلك لاشيء . لاأعتقد أنني أرغب في معرفة ماحدث بعد ذلك . ولكني بحاجة إلى ذلك .

– آمل ألا تتذكري ذلك أبداً . هناك لحظات مرت بي كنت أود أن أنسي فيها كل شيء . لقد اضطررت للبقاء بلا حراك وأنا أنظر إليهم فينيلا .... لا أود أن أتذكر تلك اللحظات مرة أخرى . كانوا قد ضربوني على ظهري لدرجة أني شعرت بكسر في عمودي الفقري . لقد شلت حركتي إلى القدمين وعندما تأكدوا من عدم قدرتي علي الاتيان بأية حركة . أهملوني واتجهوا إليك . استطعت أن أجر نفسى حتي جهاز التليفون . بعد أن لاحظوا

ماكنت أفعل أتجهوا إلى مرة أخرى . ولكني كنت قد اتصلت بالشرطة وطلبت منهم المساعدة ودلتهم على عنوان البيت .

ارتعشت فينيلا بين ذراعيه . حاولت أن تتصور ماذا حدث لها أثناء ذلك . وماذا كان شعوره وهو مضطر إلى مراقبة مايفعلونه .

– كان من الممكن أن يقتلوك .... أن يقتلونا معاً .

بعد فترة من التردد سألته .

– هل استطاعوا أن .. أن ... أقصد عندما قرروا الاتجاه إلى ولم تستطع أنت حراكاً . هل استطاعوا أن ... هل تمكنوا من...

– لا لم يتمكنوا حتى من الاقتراب منك . حمداً لله . لقد جذبت انتباههم إلى صدقيني ياعزيزتي لم يتمكنوا حتى من وضع اصبع واحد عليك فسرعان ما أتت الشرطة وقبضت عليهم .

استرخت مرة أخرى . فقد ملأها اشمئزازاً تصور ما كان يمكن أن يحدث .

– أين هم الآن . < سألته > من المؤكد أنهم قدموا إلى المحاكمة ... لماذا لم يسألني أحد حتى الآن عن أن شيء ؟

– لم يكن هناك مجال لذلك . عرف الأطباء في المستشفى الذي كنت تتعالجين فيه من الاغماء أنك فقدت ذاكرتك وقد كان

سام رائعاً . علمت أنه باشر حالتك لذلك اتصلت به واتفقت معه على عدم ازعاجك بأي خبر أو معلومات فقد كانت حالتك صعبة . وأي محاولة تجعلك تتذكرين أي شيء كانت ستؤدي إلى كارثة . ولم تكن هناك من حاجة لذلك فقد كانت إفادتي كافيه بالنسبة إلى الشرطة .

– هل تعني أنه سيكون هناك محاكمة لأولئك المجرمين ؟ لقد تعرضت لكل ذلك . ولم أكن أعلم أي شيء ؟

– ليست الآن فهذه الأشياء تأخذ وقتاً طويلاً . ولكن الرجال في السجن الآن وينتظرون المحاكمة . لن يتعرضوا لك مرة أخرى .

– ولكن لابأس أستطيع أن أعطيهم إفادتي الآن . الآن وبعد أن تذكرت .

– لست مجبرة على ذلك . لاأحد يستطيع أن يجبرك على ذلك .

– لا ... ولكني أريد ذلك لا أريدك أن تواجه كل ذلك لوحدك

< كانا متقاربين قلباً وقالباً وكأن استرجاع تلك الذكريات جعلتهما يقتربان أكثر من بعضهما >

أصبح باستطاعتها الآن تذكر كل تفاصيل علاقتهما في الماضي أدركت الآن سبب ذلك الشعور بالألفة الذي كانت تشعر به نحو

روبرت . وأدركت صعوبة موقفه وهو يعيش معها تحت سقف واحد ويواجه عدم تذكرها له ومعاملتها له كالغريب . روبرت .... أحبك كثيراً . لم أتوقف عن حبك حتى وأنا فاقدة للذاكرة فقد كان لدي دائماً الشعور بالحب والألفة تجاهك وكأنني كنت قد قابلتك من قبل.

– كنت أعيش في جحيم كبير . انتظر استعادتك للذاكرة خفت من عدم استرجاعك لذاكرتك وعدم تمكنك في الوقوع في حبي مرة أخرى .

– لا أحد يمكنه أن يمنع حبي عنك . لقد وقعت في حبك منذ أن رأيتك للمرة الأولى في ملعب المستشفى . لقد أظهرت لك حبي إلا أنك لم تستجب لي وتركتني وحيدة . لماذا ؟

– لقد هربت منك ومن كان يمكن أن يحدث لو استجبت لذلك الشعور ولم يكن ذلك من العدل بالنسبة لك . أردت أن تقعي في حبي مرة أخرى . ولكن أن تقعي في حب رجل كامل وليس رجل حبيس الكرسي المتحرك في تلك الليلة كان من الممكن أن أذهب بعيداً وأطلب منك الزواج وأنا متأكدة أنك ما كان يمكن أن ترفضي عرضي . كنت استطيع أن أربط حياتي بحياتك إلى الأبد لأنني لم أكن أستطيع الاستمرار بدونك . وفي نفس الوقت لم أفعل ذلك

.لأنني لو فعلت لاحتقرت نفسي بقية حياتي وكان ذلك سيحطمنا نحن الإثنان .

كانت فينيلا صامته تستمع إليه . فهمت ماكان يريد قوله ولكنها كانت تعرف أنه مخطىء لأنها كانت ستقبل الزواج منه وبسعادة وبدون التفكير بعاهته أو بعجزه أما فكرة فرصته للاستفادة منها فلم يخطر على بالها أبداً بالنسبة لها حبهما كاف للزواج ولاستمرار البقاء معاً .

أما بالنسبة لروبرت فالامور تختلف . حيث يتدخل الكبرياء . ولن يسمح بأن اقدم إلا أفضل مالديه . وقد كانت دائماً متفقة معه ماعدا بعض الأشياء التي كانا يختلفان فيها ولكن ذلك الاختلاف في العلاقة مابين الرجل والمرأة هو الذي يعطي لتلك العلاقة السحر الذي يلونها وذلك في مختلف مراحل الحياة .

– لا يمكن لأي شيء أن يحطمنا . قالت أخيراً ، ولايمكن لاي شيء أن يفرقنا . فقد خلقنا لنكون معاً روبرت .

– نعم ... أعتقد أننا بالفعل خلقنا لبعضنا . أحبك كثيراً ولا أستطيع الابتعاد عنك أكثر من ذلك . أريدك أن تمحي من ذاكرتك كل تلك الذكريات المرعبة . هل تسمحين لي بأن أقوم بذلك؟

– لن تستطيع أن تمحيهما أبدا . فهي جزء من حياتي كما

هي جزء من حياتك . وأنا أريدها . روبرت . أود أن نتشارك في اللحظات الجميلة واللحظات الحزينة أيضاً . ولكن تستطيع أن تضيف إليها ذكريات جميلة بضمي بين ذراعيك إلى الأبد .

WWW.RWTY.COM
منتديات رومانسية